جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم التاريخ



الأحوال السياسيّة في الدولة العُثْمَانِيّة

1012-1050هـ/1603-1640م

Political Affairs of Ottoman State

1012- 1050 AH / 1603-1640 A.D

إعداد الطّالب

حبيب بن حسين بن خلف الرحبي

إشراف الدكتور

وليد العريض

2015-2016م

الأحوال السياسية في الدولة العثمانية

1012-1050هـ/1603-1640م

Political Affairs of Ottoman State

1012- 1050 AH / 1603-1640 A.D

إعداد الطالب

حبيب بن حسين بن خلف الرحبي

بكالوريوس في التاريخ ، كلية التربية ،صور، 2001م

قُدمت هذه الدراسةُ استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

الحديث والمعاصر، جامعة اليرموك، قسم التاريخ- إربد- الأردن- 2016/2015م

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور وليد العريض .... مشرفاً.

الأستاذ الدكتور عبد المجيد الشناق.................................عضواً.

الدكتور عمر العمري .... عضواً.

الإهداء

إلى أمي الّتي أكرمتني بدعائها، وشملتني بحنانها . . .

إلى زوجتي الغالية الّتي صبرت، وتحملت مِن أجلي . . .

إلى أبنائي الخليل والحسين وإبراهيم وماريا . . .

إلى إخوتي وأخواتي . . .

إلى كُلّ مِن له بصمةٌ في قلبي . . .

وإلى جميع أساتذتي الكرام

الذين علّموني حفظهم الله ورعاهم

وفاءً بحقهم وعرفاناً بفضلهم

أهديكم هذا العمل

مع المحبة والتقدير . . .

حبيب الرحبي

الشكر والتقدير

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى الدكتور وليد العريض على تكرمه وتفضله بالإشراف على رسالَّتِي، ولم يدخر جهدا في إسداء النصائح لي، وتلقي التوجيه المنهجي طوال مشوار إعدادي للرسالة؛ مما كَانَ له أثره الطيب في السعي الحثيث والجاد مِنْ قبل الباحث نَحْوَ خروج هَذِهِ الرسالة بمستوى علمي أصيل، مستغلاً بذلك مكتبته الخاصة الَّتِي تحوي الكثير مِنِ المصادرِ والدراساتِ باللغتين العُثْمَانِيّة والتركية، مما أضاف بُعداً علمياً ومعرفياً للرسالة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والخالص إلى أعضاء لجنة المناقشة على فيض تقديرهم وكرم تفضلهم بأن يكونوا ضمن اللجنة المشرفة في إجازة رسالَّتِي كُلّ من: الأستاذ الدكتور عبد المجيد الشناق، والدكتور عمر العمري، متشرفاً بذلك ومثمناً جهدهم الكبير في تحمل عناء قراءة هَذِهِ الرسالة، متطلعاً إلى نصائحهم الكريمة بما يُعزَز رسالَّتِي العلمية؛ حتى تكون بحثاً علمياً أصيلا يستنير به الباحثون والدارسون، ويفتح أمامهم فيما بعد تساؤلاتٍ وأطروحاتٍ عديدة للخروج بفائدة علمية في هذا المجال.

والشكر موصولٌ إلى كُلّ مِنْ قدَم لي مساعدة علمية، سواء في تقديمِ المصادرِ والمراجعِ أو الترجمة، مِنْ قبل بعض المراكز الْعِلْمِيَّة في الأردن ودول الخليج وفي مقدمتها: مكتبة جامعة اليرموك، والجامعة الأردنية، ومكتبة جامعة السلطان قابوس.

فهرس المحتويات

قائمة بأهم سلاطين الدولة العُثْمَانِيّة الَّتِي تناولتها فترة الدراسة

السلطان سليمان القانوني (926- 974هـ/1520- 1566م)

السلطان سليم الثَّانِي – السلطان محمد الثالث (974- 1012هـ/ 1566- 1603م)

السلطان أحمد الأول (1012- 1026هـ/ 1603- 1617م)

السلطان مصطفى الأول

السلطان عثمان الثَّانِي (1026- 1033هـ/ 1617- 1623م)

السلطان مصطفى الأول

السلطان مراد الرَّابِع (1033- 1050هـ/ 1623- 1640م)

الملخص باللُّغَة العَرَبِيَّة

الرحبي، حبيب بن حسين بن خلف: الأحوال السياسيّة في الدولة العُثْمَانِيّة (1012-1050هـ/1603-1640م). إشراف الدكتور: وليد العريض، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 2015- 2016.

تهدف الدراسةُ الَّتِي حملت عنوان "الأحوال السياسية في الدولة العُثْمَانِيّة (1012-1050 /1603-1640م)"، إلى إبراز الجانب السياسي للدولة العُثْمَانِيّة، والكشف عن طبيعة العلاقات والأوضاع الَّتِي مرَّت بها الدولةُ العُثْمَانِيّة في تِلْكَ الفترة مِنْ عزلٍ وتعيينٍ، وقيادةِ جيش وحروب، وأبجديات الدولة العُثْمَانِيّة ومقومات السَّلَاطِين الَّذِينَ تعاقبوا عليها، على الأقل في الفترة الزمنية (موضوع الدراسة)، فضلاً عن الثورات الدَّاخِلِيِّة، والهزائم، وسوء الإدارة، ثُمَّ حالة النهوض وقهر الأعداء، وتحرير الأرض كما هو موضح في خطة الرسالة. كُلّ ذَلِكَ أصبح بلا شك مدعاة لوصفِ أوضاعٍ سياسيةٍ بحتة، فوجب تحليلُ تِلْكَ الأوضاع وتفسيرُها؛ فضلاً عن فهم بعض الموظفين الْعُثْمَانِيِّينَ.

تناولت هَذِهِ الدراسةُ فترة مِنْ أهم فترات التاريخ العُثْمَانِيّ ، إذ تعدُّ هَذِهِ الفترةُ بداية التراجع والضعف في الدولة العُثْمَانِيّة بعد وفاة السلطان سليمان القانوني (926-974هـ/1520-1566م)؛ لذلك استخدمت الدراسةُ المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي الَّذِي يعتمد على جمع المَعْلُومات وتحليلها ومقارنتها، بعيداً عن التكرار والحشو؛ في محاولةٍ للوصول إلى صورة واقعية ما أَمْكَنَ، دون تحيزاً لأيَ قضية مِنْ القضايا التاريخية. واعتمدتْ الدراسة على المصادرِ العُثْمَانِيّة والتُّرْكِيَّة بشكل رئيس بالإضافة إلى مجموعةِ الدراسات العَرَبِيَّة والأجنبية.

جاءت الدراسة في مقدمة وأربعة فصول، حيث خُصَص الفصلُ الأول كمدخل رئيس للدراسة بعنوان الأحوال السياسية في الدولة العثمانية من النشأة حتى بداية القرن السابع عشر (680-1012هـ/ 1281-1603م)، تم التطرقُ فيه إلى عدة محاور مهمة مبينة صورة لعصر القوة من فتح القسطنطينية إلى نهاية القرن السادس عشر ، أي من القرن الثالث عشر حتى نهاية السلطان سليمان القانوني (680-974هـ/1218-1566م) ، ووصول الدولة إلى أقصى اتساع جغرافي لها ، وذروة في القوانين العسكرية والاقتصادية؛ مما أوصلها إلى العالمية.

بعد ذلك تم التحدثُ عن عصر التأرجح بين القوة والضعف منذ عهد السلطان سليم الثاني إلى نهاية السلطان محمد الثالث أي من الفترة ما بين (974-1012هـ/1566-1603م)، وما شابها من مؤامرات داخل القصر وثورات داخلية وإصلاحات، وهي واضحةٌ في خطة الدراسة.

أما الفصل الثاني، فقد رصد السياسة الخارجية للدولة في فترة السلطان أحمد الأول (1012-1026هـ/1603-1617م) وانعكاساتها على مستوى الوضع الداخلي، مناقشا ذلك سياسته مع الحريم، مع إعطاء تقييما للوضع الداخلي إبان عهده، أو على مستوى الأحوال الخارجية كالحروب الخارجية أو المعاهدات السلمية، وما شابها من انتصارات وهزائم.

وقد تناول الفصل الثالث صورة تقيمية للفكر السياسي والعسكري والاجتماعي والعلمي في عهد السلطانيْن مصطفى الأول وعثمان الثاني (1026-1033هـ/1617-1623م) من خلال إبراز شخصية السلطان مصطفى الأول وسلطنته الأولى، ثم عزله واعتلاء السلطان عثمان الثاني عرش السلطة وجهود السلطان عثمان في إصلاح الإنكشارية، كما سلَّط هذا الفصلُ الضوء على الأحداث السياسية التي أدت إلى مقتله على يد الثوار، ثم تطرَّق إلى الظروف التي

أعادت السلطان مصطفى الأول إلى الحكم مرة أخرى ، مع وضع صورة تقييمية لكيفية إدارته لسلطنته الأولى.

أما الفصل الرابع، فتطرّق إلى الأحوال السياسية في عهد السلطان مراد الرابع (1033-1050هـ/1623-1640م)، من حيث شخصيته الجسدية والفكرية والثقافية ، فضلا عن بحث حالتي التناقض التي شهدتها سلطنة مراد الرابع الأولى (1033-1042هـ/1623-1632م) ، والثانية (1042-1050هـ/1632-1640م) ، مبيناً السياسة الداخلية والخارجية لكلا المرحلتين.

وما يمكننا قوله في هذا الصدد هو أن هذه الدراسة تناولت في مجملها سلاطين هذه المرحلة المرتبطة بفترة الدراسة (1012-1050هـ/1603-1640م) ، كما هو مُبيَّنٌ في الخطة ابتداء من عهد السلطان محمد الثالث إلى السلطان مراد الرابع .

واتصفت هذه الفترةُ حتى ولاية السلطان مراد الرابع بأنها فترةُ صراعٍ كبيرٍ على السلطة داخل القصر السلطاني، وكان هناك دورٌ في هذا الصرع للحريم والوزراء والأغاوات؛ مما تسبب ذلك في خلع السلطان مصطفى الأول، ومقتل السلطان عثمان الثاني (1032هـ/1622م)، وعودة السلطان مصطفى الأول إلى الحكم مرة أخرى.

ولما تولّى السلطان مراد الرابع، استطاع أن يستعيد بغداد من أيدي الفرس الذين استغلوا فترة الاضطرابات ، واحتلوا بغداد عام (1034هـ/1624م) ، وبعد عدة حروب قضاها السلطان ضد إيران؛ استطاع تحرير بغداد وتطهير الانكشارية والمجتمع العثماني من أسباب الضعف والركود

وعلى الرغم من وفاته وهو شاب (27عاما)، إلا إن المؤرخين يُعدُّونَهُ أهمَ سلطانٍ عثمانيٍّ جاء بعد السلطان سليمان القانوني .

وقد خلُصت الدراسةُ إلى نتائج مهمة جاء في مقدمتها، أن الدول القوية تحتاج إلى عزيمة وإصرار وعلم وخبرة حكامها؛ حتى تحافظ على قوتها، وهذا ما اتصف به العهد العُثْمَانِيّ الأول. أما السَّلَاطِين الَّذِينَ فقدوا هَذِهِ المميزات، فقد تسببوا في ضعف دولتهم، ولم ينقذها إلا رجل اتصف بصفات أجداده الأوائل؛ أمثال السلطان مراد الرَّابِع، ومن بعده السلطان محمود الثَّانِي، والسلطان عبد الحميد الثَّانِي.

ويأمل الباحثُ في أن يسهم هذا الجهد العلمي المتواضع في رفد المكتبات العَرَبِيَّة بمثل هَذِهِ الأطروحات، وإثراء الباحثين والدارسين في كتاباتهم ذات الصلة بتاريخ الدولة العُثْمَانِيّة ومفاصلها الرئيسة، كُلّ ذَلِكَ بعد إجازة هَذِهِ الرسالة الْعِلْمِيَّة مِنْ قبل لجنة المناقشة، الَّتِي بلا شك سوف تنير الدرب، وتضيف بعداً علمياً ومعرفياً مِنْ خلال ملاحظاتهم القيمة الَّتِي يبدونها، مقدماً الشكر والتقدير للجميع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الباحث

حبيب الرحبي

المقدّمة

لمن دواعي سروري، أن الأستاذ المشرف كلفني بدراسة هذا الموضوع، إذ أنني وجدت فرصتين مهمتين، كَانَ يجب استثمارهما أثناء دراستي في قسم التاريخ – جامعة اليرموك، **الأولى:** أنني أتتلمذ على يد أساتذة أكفاء في مناهل العلم كافة، **والثَّانِية:** دراسة التاريخ العُثْمَانِيّ على يد أستاذ مُتَخَصِّص في هذا المجال، وخاصة بعد أن تتلمذتُ على يديهِ في دراسة أغلب المساقات السابقة لهذه الرسالة؛ في وقت يفتقدُ فيهِ الوطنُ العربيّ عامة وسلطنة عُمان خاصة إلى مثل هَذِهِ الدراسات، بسبب عدم دخول السلطنة تَحْتَ الحكم العُثْمَانِيّ، ولذا ينقصنا في عُمان أدنى المعرفة عن تاريخِ الدولة العُثْمَانِيّة ومصادرِها الْأَصْلِيَّة، بَلْ نفتقدُ إلى الدراساتِ التُّرْكِيَّةِ والأجنبيّةِ والعَرَبِيَّةِ عنها؛ ممّا يشكل ذَلِكَ بعداً معرفيّاً وإضافة علميّة للمكتبةِ العُمانيّةِ.

تعلمتُ مِنْ دراسة التاريخ العُثْمَانِيّ أهميةً الوصول إلى الحَقَائِقِ بإيجابياتها وسلبياتها، وما يتوافق مَعَ أهوائنا أو يتناقض معها؛ ركائزُ هَذِهِ الدولة العقيدة والجهاد والفتوحات، والقضاء على مراكز الأعداء التقليديينَ مِنْ البيزنطيينَ والفرس وغيرهم، نال مِنْهَا ما نالَ مِنِ الانكساراتِ والهَزَائِمِ المديدةِ على المُسْتَوِيينَ: الدَّاخِلِيِّ والخارجيِّ، مِنْ: ترك، وتركمان، وفرس، وصرب، ويونان، وعرب، وأرمن، وكرد، وشركس، ومماليك، ومغول، وبيزنطيين، وروم، وفرنسيين.

وبما أنّ أغلب الدراسات الَّتِي تناولت تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة رَكَزَتْ في مُجملِها إما على فترة القوة والانتصار مِنْ منتصف القرن الخامس عشر بفتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح (855–886هـ/1451–1481م)، إلى نهايةِ السلطان سليمان القانوني (926–974هـ/1520–1566م)، بسبب وجود القوانين العُثْمَانِيّة ودفاتر تحرير الطابو، أو التركيز على فترةِ القرن التاسع عشر، قرن التنظيمات والصراع مَعَ الدول الكُبْرَى، ووفرة الوثائق؛ فإنّ هَذِهِ

الدراسةَ الَّتِي تحمل عنوان "الأحوال السياسية في الدولة العُثْمَانِيّة (1012-1050هـ/1603-1640 م)"، تهدف إلى إلقاء الضوء على فترة مِنْ أهم فترات التاريخ العُثْمَانِيّ، الَّتِي شهدت حالاتٍ مُتَنَاقِضَةٍ بَيْنَ الضَّعْفِ وخلعِ السَّلَاطِين وقتلِهم، والثورات الدَّاخِلِيِّة والهزائم، وسوء الإدارة إلى حالةٍ مِنْ النهوضِ، وهزم السَّلَاطِين، وقهرِ الأعداءِ، وتحريرِ الأرضِ، كما هو واضح في خطةِ الرسالةِ.

وقد طرحت الدراسة مجموعة مِنْ الأسئلة الرئيسة والثانوية، أهمها:

1- ما هي أسباب ضعف بعضِ السَّلَاطِينِ الْعُثْمَانِيِّينَ في هَذِهِ الفترة مثل محمد الثالث ومصطفى الأول؟

2- ما هي أسباب قوة بعض السَّلَاطِينِ الْعُثْمَانِيِّينَ، مثل: عثمان الثَّانِي، ومراد الرَّابِع؟

3- لماذا قُتل عثمان الثَّانِي؟

4- كيف استطاع مراد الرَّابِع إعادة الهيبة إلى الدولة؟

5- ما هي النتائج المترتبة على الهزائمِ والانتصارات؟

تعدّ فترةُ الدراسة، مِنْ الفترات الَّتِي تفتقر إلى وجود الوثائق نسبياً قياساً، بفترتي القوة في عهد الفاتح والقانوني، أو وثائق التنظيمات في القرن التاسع عشر؛ لأنه يوصف بعصر الخمول حتى منتصف القرن الثامن عشر، كما أنّ الضعفَ الَّذِي سادَ الدولةَ داخلياً انعكسَ على لغةِ الوثائقِ أحياناً.

لذا حاولت الدراسةُ الاعتماد على ما أَمْكَنَ مِنِ المصادرِ العُثْمَانِيّة، الَّتِي أَمْكَنَنا الوصول إليها بصعوبة، نتيجة افتقار المكتبات العَرَبِيَّة لها، إضافة إلى الاعتماد على كثير مِنْ الدراسات التُّرْكِيَّة الحديثة، والأجنبيّة، والعَرَبِيَّة والمعربة، ومِنْ أهمِّ هَذِهِ المصادر: تواريخ نشرى، ونعيمة،

وبجوي، وشاكر، وعاشق زاده، وكاتب جلبي، ونتائج الوقوعات لـ(مصطفى نوري باشا)، وتاريخ فريدون بك، الَّتِي قدمت لنا جميعُها بعض المَعْلُومات عن الأحوال الدَّاخِلِيِّة والخارجيِّة.

أما الدراساتُ التُّرْكِيَّة، فيأتي في مقدمتها، دراسات خليل أنالجيك، الدولة العُثْمَانِيّة مِنْ النشوء إلى الانحدار، ودراسات إسماعيل حقي (أوزون جارشلي Garsili)، والموسوعة التُّرْكِيَّة.

وأما الدراسات العَرَبِيَّة والمعربة، ففي مقدمتها: تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة لـ(وليد العريض)، ودراساته عن مؤرخي الدولة العُثْمَانِيّة ودبلوماسية الخطاب العُثْمَانِيّ، ومفهوم الظلم عند الْعُثْمَانِيِّينَ، وتاريخ الامتيازات في الدولة العُثْمَانِيّة، ودراسات تلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة، وتاريخ الدولة العُثْمَانِيّة الَّذِي حرره أكمل الدين إحسان أوغلو، وتاريخ الدولة العُثْمَانِيّة لـ(محمد فريد بك المحامي)، وتاريخ السَّلَاطِين الْعُثْمَانِيِّينَ لاصاف بك، وتاريخ الدولة العُثْمَانِيّة الَّذِي حرره روبيرماتران.

وتضم قائمةُ المَصَادِرِ والمراجعِ دراسات باللُّغَةِ الأجنبيّةِ في مقدمتها: تاريخ همر(دولت عثمانيّة تاريخي، ترجمة مِنْ الإنجليزية إلى العُثْمَانِيّة لمحمد عطاء)، وتاريخ ستانفورد شو (الإِمْبِرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيّة وتركيا الحديثة، مجلدان، ترجمة مِنْ اللُّغَةِ الإنجليزيةِ إلى اللُّغَة العُثْمَانِيّة)، أفادتنا بمَعْلُومات قيِّمة إضافة إلى الموسوعةِ الإنجليزيةِ في ترجماتٍ لمصطلحاتٍ تاريخيةٍ مُخْتَلِفَةٍ.

ولا شك، أن بُعدنا عن التاريخ العُثْمَانِيّ ، وبلدي خاصة، قد أوقعت الباحث في مشاكل علمية كبيرة، ولكن مساعدة الأستاذ المشرف وآخرين ممن يعرفون هاتين اللغتين، قَدْ أَمْكَنَ التغلبَ على بعضِ المشاكلِ، خاصة أنه لمْ يستطعْ الباحثُ الوصولَ إلى كثيرٍ مِنْ المصادرِ والدراساتِ الأساسيةِ، وقامَ الباحثُ بتعويضِها مِنْ خلال الدراسات العَرَبِيَّة والمعربة والأجنبية.

كما أنّ ظروفَ العملِ والوظيفةِ والارتباطِ الرَّسْمِيِّ بالدولة قد حدّ مِنْ التَّحَرُّكِ إلى الخارجِ، وزيارة المكتبات الأجنبيةّ، فكانَ جُلُّ التواصلِ عن طريقِ وسائلِ الإنترنت والإيميل وغيرها، بالإضافة إلى المكتبات العَرَبِيَّة الَّتِي استغلتْ لخدمةِ الدراسةِ وأغراضِها العلميةِ.

جاءتْ خطةُ الدراسةِ في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة؛ فخُصص الفصل الأول كمدخلٍ رئيس للدراسة بعنوان "الأحوال السياسية في الدولة العُثْمَانِيّة مِنْ النشأة وحتى بداية القرن السابع عشر (680-1012هـ/1281-1603)"؛ تضمنَ عصرَ القوة مِنْ بدايةِ القرن الثالث عشر حتى نهاية السلطان سليمان القانوني (680-674هـ/1281-1566م)، ثُمَّ عصر التأرجح بَيْنَ القوةِ والضعف مُنْذُ عهدِ السلطان سليم الثَّانِي إلى نهاية السلطان محمد الثالث، وذلكَ خلال الفترة (982-1012هـ/1566-1603م).

أما الفصل الثَّانِي، فقد حمل عنوان "الأحوال السياسية في عهد السلطان أحمد الأول (1012-1026هـ/1603-1617م)"، مُبَيِّناً فيه شخصيةُ السلطان، والأحوالُ الدَّاخِلِيّة المُتَمَثِّلَة في الصدارةِ العُظْمَى، وسياسة السلطان مَعَ الحريمِ، بالإضافة إلى نظرةٍ فاحصةٍ وصورةٍ تقييمية للوضع الدَّاخِلِيِّ في عهدِهِ، كَذَلِكَ تتطرقَ هذا الفصلُ إلى الأحوال الخارجيِّة المُتَمَثِّلَة في الحروب النمساويّة العُثْمَانِيّة، والإيرانيّة العُثْمَانِيّة وحملة البحر الأبيض المتوسط.

في حين جاءَ الفصلُ الثالثُ بعنوان "الأحوال السياسية في عهد السلطانينِ مصطفى الأول وعثمان الثَّانِي (1026-1032هـ/1617-1623م)"؛ رصد فيه شخصية السلطان مصطفى الأول، وظروف عزله في ولايته الأولى، ثُمَّ إعادته إلى الحكمِ مرة أخرى، مَعَ وضع صورة تقييمية كَذَلِكَ على إدارة سلطنتة الثَّانِية، فضلاً عن الحديث حول الوضع السياسي في

عهد السلطان عثمان الثَّانِي مِنْ حيث: شخصيته واعتلاء عرش السلطة، بالإضافة إلى جهوده في إصلاح الإنكشاريّة، مُبَيِّناً هذا الفصلُ الظروف السياسية الَّتِي صاحبت مقتله على يد الثوار.

أما الفصلُ الرَّابِعُ، فقد أشارَ إلى الأحوالِ السياسيةِ في عهدِ السلطان مصطفى الرَّابِع (1033–1050هـ/1623–1640م)، من حيث: صفاتِ السلطان مراد الرَّابِع، وشخصيتِهِ الجسديةِ والفكريةِ والثقافيةِ، بالإضافة إلى الإجراءاتِ الَّتِي قامَ بها السلطانُ مراد الرَّابِع على المستويين الدَّاخِلِيِّ والخارجيِّ لإعادةِ هيبةِ الدولةِ مِنْ خلالِ تأسيس سلطنته الأولى (1033–1042هـ/1623–1632م)، وسلطنته الثَّانية (1042–1050هـ/1632–1640).

كما رَصدَتْ الدراسةُ مجموعةَ النتائجِ الَّتِي توصلت إليها للإجابةِ على الأسئلةِ الَّتِي طرحَتْها، والَّتِي تَعلقتْ بشكل أساسيّ بشخصية السَّلَاطِين الَّتِي تَأرجحتْ بَيْنَ القوةِ والضّعفِ، وإنقاذ بعضهم للدولة مِنْ حالة الهزيمةِ إلى حالةِ الانتصارِ والقوةِ، بغض النظر عن قصرِ المدةِ الزمنيّةِ الَّتِي حكموها.

وخُتمتْ الدراسةُ بقائمةٍ مِنِ المصادرِ والمراجعِ، آملاً في أنْ يَحظَى هذا العملُ بتقديرٍ عالٍ، ومكانةٍ علميةٍ، وأنْ يكونَ إضافةً حقيقيةً في المجالِ العلميّ والأكاديميّ؛ يهتدي به كُلّ مَنْ يشقُّ طريقَهُ نَحْو مَعْرِفَةِ مَفَاصِلِ الدولةِ العُثْمَانِيّةِ الأساسيةِ، بعد الاستماعِ إلى ملاحظاتِ الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، والَّتِي ستكون لملاحظاتِهم الأهمية الكُبْرَى في سدِّ الثغراتِ الْعِلْمِيَّةِ والمنهجيّةِ؛ ما يزيد هَذِهِ الدراسةُ الرصانةَ الْعِلْمِيَّةَ.

الفصل الأول

الأحوال السياسية في الدولة العُثْمَانِيّة مِنْ النشأة حتى بداية القرن السابع عشر (680-1012هـ/1281-1603م)

المدخل

أولاً: عصر القوة مِنْ القرن الثالث عشر حتى نهاية السلطان سليمان القانوني (680-974هـ/1281-1566م)

ثانياً: عصر التأرجح بَيْنَ القوة والضعف مُنْذُ عهد السلطان سليم الثَّانِي إلى نهاية السلطان محمد الثالث

1- السلطان سليم الثَّانِي (974-982هـ/1566-1574م)

2- السلطان مراد الثالث (982-1004هـ/1574-1595م)

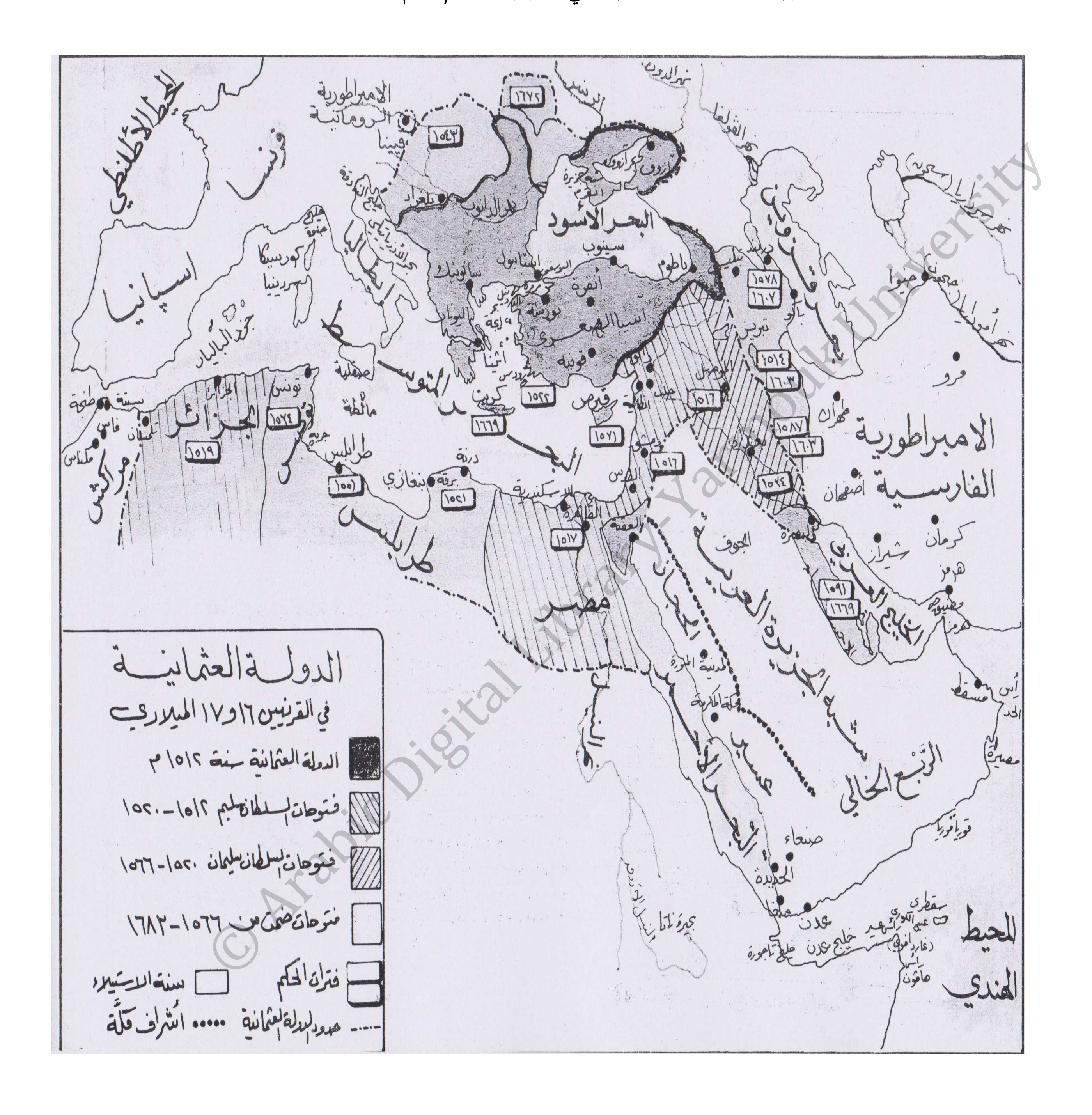
3- السلطان محمد الثالث (1004-1012هـ/1595-1603م)

أ- شخصيته

ب- عصيان السباهية

ج- الأحوال الخارجيّة

خريطة الدولة العثمانيّة في القرنين 17/16م [1]



1. يُنظر: الميداني، محمود عصام، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، دار دمشق للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1995م، ص44.

مدخل

تناولتْ هَذِهِ الدراسةُ الَّتِي تحملُ عنوانَ "الأحوال السياسية في الدولة العُثْمَانِيّ (1012-1050هـ/1603-1640م)"، فترة مِنْ أهم فترات التاريخ العُثْمَانِيّ؛ إذ إنّهُ من خلال نظرة المُتَخَصِّصِينَ في تاريخِ الدولةِ العُثْمَانِيّة ومؤرخيها، وما سردوه لنا مِنْ كتبٍ معرفيّةٍ قيمةٍ، وبحوثٍ علميّةٍ أصيلةٍ في هذا المجالِ؛ فقد أَمْكَنَ تشخيصَ المفاصلِ الرئيسةِ الَّتِي مرتْ بها هَذِهِ الدولةُ، ووضعِها تَحْتَ المجهرِ، ورأينا مِنْ الضروري عرضَها كمدخلٍ مهمٍ يتيحُ للقارئ فهماً واضحاً، ورؤيةً شاملةً ودقيقةً لمراحلِ الدولةِ العُثْمَانِيّةِ وتفاصيلِها وأحداثِها المُخْتَلِفَةِ؛ ممّا فتحَ أمامنا حول ذَلِكَ تساؤلاتٍ عديدةً ومهمةً، دعتْ الضرورةُ إلى إعدادِ هَذِهِ الدراسة الْعِلْمِيَّة الَّتِي بَيْنَ أيديكم.

أولا: عصر القوة مِنْ القرن الثالث عشر حتى نهاية السلطان سليمان القانوني (680-974هـ/1281-1566م)

يحتفلُ الأتراكُ دوماً بتأسيسِ دولتِهم على يد سليمان شاه (SulaymanSah)[1]، ولكنْ يبقى هذا احتفالٌ سياسيٌّ؛ إذ إن المؤرخينَ الأتراك[2] يؤكدون على أنّ عثمان

1. مؤسس الدولة التركية عام 467هـ /1074م، وهو بداية عهد السلاجقة، وهو من أخرج البيزنطيين من الأناضول إلى أوروبا، توفي عام 1086م، في صراع مَعَ ابن أخيه قطلمش، وابن أخيه سليمان شاه والد قليج ألب آرسلان أو أرسلان الأول Kilic Arslan. لمزيد من التفاصيل ينظر:

أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، (مجلدان)، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، 1988، مج1/ص67-68.

غرايبة عبد الكريم، العرب والأتراك، مطبعة جامعة دمشق د.ط، 1381هـ/1961م، ص 267- 268.

كوبرولو، محمد فؤاد، قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان السعيد، بيروت، 1991م.

2. في مقدمتهم، كوبرولو، محمد فؤاد، قيام الدولة العثمانية، مرجع سابق. أنالجيك، خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الارناؤوط، بيروت، دار المدار الإسْلَامِيّ، 2002م.

Hzuncarsili, I. Hakki, Osmanli Devlti Teskilatina Madhal, TTK, Ankara, 1988.

Frye, R.N.Sayilli, A, " Selcuklarin Evvel Ortakta Turkleru IA. Vol. 12/p. 260-262.

بك[1] هو مؤسس الإمارة العُثْمَانِيّة، وبداية التاريخ العُثْمَانِيّ اعتماداً على الرواياتِ الشعبيّةِ الَّتِي وردتْ في تواريخِ نشرى واوروج بك، وعاشق باشازاده[2]، الَّتِي أشارت إلى أنّ عثمان بك زعيمُ عشيرة قابي[3] kaby، الَّتِي استوطنتْ منطقة سكود[4]sukud ، وهي مِنْ العشائرِ التركمانيّةِ الَّتِي تنتسب إلى الأغوز (الغز)[5] uguz.

ومهما يكن، فإن 150 سنة الأولى (679-856هـ /1281-1453م)، استطاع فيها السَّلَاطِينُ العُثْمَانِيّونَ أنّ يحققوا إنجازاتٍ عظيمةً، مهدتْ الطريقَ إلى القسطنطينية، تِلْكَ الرغبة الَّتِي وردتْ في حديثِ الرسول – صلى الله عليه وسلم – "لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ وَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا، ولنعم الجَيْشُ ذَلِكَ الجَيْش"[6].

ويمكن رصد هَذِهِ الإنجازات بما يلي:

---

1. مؤسس الدولة العثمانية 1281-1324م، وهو عثمان أرطغول بن سليمان بن قطلمش، أسس الإمارة الحدودية الإقطاعية، وتوسعت في عهده إلى 16.000 كيلو متر مربع، ومات في حصار بورصة. لمزيد من التفاصيل ينظر: بيلديسينون، أيرين، البدايات عثمان وارخان: تاريخ الدولة العثمانية، إشراف: روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعي، ج1، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، 1993م، ص 17-48.
2. Altinday, Sinasi, “Osman I” IA, Vol. 9/p.431.

العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، التاريخ السياسي والإداري، مجلة دراسات تاريخية، دار الفكر، عمان، ط1، 2012م، ص 28و29.

3. لمزيد من التفاصيل عن هَذِهِ المصادر، ينظر: العريض، وليد، الكتابة التاريخية عند الأتراك العثمانيين، مجلة كلية الآداب– جامعة عين شمس.

Levend, Agasirri, Turk Edebiyati Tarhi, Giris I.Cilt, TTK, Ankara 1984,P.357,381, Ebehard,” Kayilar Kabilesi Hakkinda Sinolojik Mulahazalar” Belleten Sayi p. 32/567-581.

4. منطقة في شمال غرب الأناضول على بحر مرمرة.
5. Eberhard, Ibid p , Vol.9 32, p. 567-581.
6. حديث رواة عبدالله بن بشير الغنوي عن أبيه، البخاري، محمد إسماعيل، التاريخ الكبير، رقم الحديث 1760، وكذلك روي في أغلب الحديث رغم الخلاف عليه.

- الاستمرار في الفتوحات والاستيطان في بلاد الأناضول (تُعرف بآسيا الصغرى، وهي أراضي تركية)، والروملي (اسم أطلقه الأتراك على أراضي الدولة العُثْمَانِيّة في أوروبا)، في ظِلِّ الصراعِ التوسعيِّ مَعَ الدولةِ البيزنطيّةِ في تِلْكَ الفترة مِنْ ناحية، ومواجهة الدول الأوروبيّة واهتمامها بهذا الفتح العُثْمَانِيّ مِنْ جهةٍ أخرى، وبالتالي ازدادَ نفوذ الدولة العُثْمَانِيّة، واتسعتْ رقعةُ الأراضي التابعة لها.
- حصلَ العُثْمَانِيّونَ على شرعيةِ مِنْ الخليفةِ العباسيّ في القاهرة، وحصلوا على لقبِ سلطان مُنْذُ عصرِ السلطان مراد الأول[1].
- إحداث التشكيلات الإدارية الَّتِي حوَلت الإمارة إلى دولة بشكلها السياسيّ والقانونيّ، وأهم هَذِهِ التشكيلات الصدارة العُظْمَى، والوزارة الباشوية[2]، وأمير الأمراء (بيلربكي)[3]، ونظام الَّتِيمار (وهو نظام يتم مِنْ خلاله استخدام الأراضي مقابل القيام لبعض الأعمال مثل دفع الضرائب، وتوريد عُشر المحصول)[4]، والسباهية[5] (جنودٌ فرسان عثمانيون على درجات مُخْتَلِفَة مُنحوا أراضي، وأُعفوا مِنْ الضرائب)، ونظام الدفشرمة devsime[6] (أُستخدم كأسلوب لتقوية الجيش مِنْ خلال تجنيد الأفراد،

---

1. Uzuncarili, “ Murat I” IA, Vol. 8/p. 597-598.
2. Tamiri, A,Osmanlil mparat orlugunun kurulus Doneminde Vezir- I Azamlik, Ankara, 1974.
3. لمزيد من التفاصيل ينظر: ساحلي أوغلو، خليل، رسالة عين علي في الَّتِيمار، من تاريخ الأقطار العربيّة من العهد العثمانيّ، إستانبول، 2000، ص9.
4. لمزيد من التفاصيل ينظر: إحسان أوغلو، أكمل الدين، (إشراف وتقديم)، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، (مجلدان)، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسْلَامِيّة، إستانبول، د.ط، 1999، ص 605-607.
5. Barkan, O.L.,”Timar” IA, Vol.12/I, P.286-333.Kafalli,” Timar”IA, Vol. 12,I,336-346.
6. Uzuncarsili, I.”Devsirme”IA,3/563-565Sertoglu ,M, Turk TarihLugati(155 stanbul 1986), P. 84-85.

ويُمثل الجزء الأكبر منه مجموعة الحرس السلطاني العُثْمَانِيّ)، والإنكشاريّة (فرقةٌ مِنْ الجيش العُثْمَانِيّ النظاميّ، وكانوا أقوى فرق الجيش العُثْمَانِيّ، وأكثرها نفوذا)، إضافة إلى ذلك، صكّ الدراهم أو الاقجة Akce (كانت العملة السائدة في الدولة العُثْمَانِيّة)، وبناء الجوامع والمدارس والخانات والحمامات، كما نظّمَ السَّلَاطِينُ دخلَ الدولةِ؛ كالجزيةِ، وخُمُسِ الْغَنَائِمِ مِنْ الأراضي المفتوحة، وتنظيمِ الموظفينّ العسكريينّ والمدنيينّ، ورجالِ العلمِ والأشرافِ والأوقافِ، ومالِ الخواص؛ لعمارةِ المساجدِ والمدارسِ، والجسورِ، والخاناتِ، والحماماتِ، والعماراتِ[1].

- إضعاف القوى الدَّاخِلِيّة مِنْ الأمراء وتبعيتها بشكل أو بأخر للسلطان.
- الاستيلاء على الأراضي المسيحية في الأناضول، كإمارة بيره جت Birecik وميخال أوغلو Mihal Oglu [2].
- الهزيمة أمام المغول في عهد بايزيد عام 804 هـ/1402م، وصراع الأخوة على السلطة لمدة عشر سَنَوَاتٍ، وإعادة الوحدة على يد السلطان محمد جلبي (815-823هـ /1413-1421م)[3].
- القضاء على التمرداتِ الفكريّةِ والسياسيّةِ، مثل: تمرد دوزمة مصطفى Duzme Mustafa، والشيخ بدر الدين، وبيرقجي مصطفى، وطورلاق كمال ذوي الأصولِ اليهوديّةِ عام (818هـ/1416م)[4].

1. Ak gunduz, Islam Hukukunda ve Osmanli Tatbi kadinda Vakif Meussesesi Ankara 1983, P. 118-176.
2. لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر، مصرليان، هاصمك، "الأحوال السياسية للدولة العثمانية 1402-1421"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك قسم التاريخ، 2015م.
3. مصرليان، هاصمك، المرجع نفسه.
4. المرجع نفسه.

- دبلوماسية مراد الثَّانِي (823-854هـ/1421-1451م)، السليمة، فكان لا يشنُّ حرباً إلا إذا كَانَ واثقاً مِنْ الانتصارِ، فجنبَ الدولةَ كوارث سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ وعسكريّةٍ أو أيّة مغامرةٍ غير محسوبةٍ، وأحدثَ التوازنَ بَيْنَ القوى العسكريّةِ، ووضعَ لأول مرة مفهوم التنازل السلميّ عن السلطة زهداً بها؛ إذ تنازلَ مرتين لابنه محمد الفاتح (854-885هـ/1451-1481م)[1].

منحَ فتحُ القُسْطَنْطِينِيَّة (856هـ/1453م) الدولةَ العُثْمَانِيّةَ الهويةَ العالميّةَ، وإنجازات جديدةٍ في مؤسسةِ الدولة، مِنْ خلالِ قوانينِ الفاتح، الَّتِي نَظّمتْ قواعدَ الحكمِ، والوظائفَ، والعلاقةَ مَعَ غيرِ المسلمينَ، ومعَ أفرادِ العائلةِ الحاكمةِ، وتغليبِ مصلحةِ الدولةِ على مصلحةِ العائلةِ، ومحاكمةِ كبارِ الموظفينَ وأربابِ المناصبِ[2].

ولا شكّ أنّ فَتحَ القُسْطَنْطِينِيَّة منحَ الفاتحَ وخلفاءَهُ شرعيةً سياسيةٍ ودينيةٍ مهمةٍ في العالمِ الإسْلَامِيّ، فقدْ وَضعَ حداً لـ (783) سنة (550-856هـ/670-1453م) مِنْ محاولات المسلمينَ لفتحِ المدينةِ مُنْذُ زمنِ الخليفةِ الأمويِّ يزيد بن معاوية.

وشَكلتْ القُسْطَنْطِينِيَّة الأساسَ لوحدةِ الدولةِ السياسيّةِ والعَسْكَرِيَّة والجغرافيّةِ والسكانيّةِ والعقائديّةِ، وأضعفَ سقوطُها التهديدَ الدائم للمسلمينَ مُنْذُ نشأتهِ.

وقامَ الفاتحُ بتطهيرِ القياداتِ العَسْكَرِيَّة والإداريّةِ، الَّتِي وقفتْ حجرَ عثرةٍ في عهدِ أبيهِ وجدهِ في تنفيذِ خططهم، وطهّرَ الجيوبَ المتبقيةَ مِنْ الإماراتِ المسيحيّةِ والمسلمةِ، وأعادَ السِّيَادَةَ العُثْمَانِيّةَ على جميعِ مناطقِ الروملي (اسم أطلقَهُ الأتراكَ على أراضي الدولة العُثْمَانِيّة الواقعة في

1. Imbert, C. The Ottoman Impire 1306-1481 Istanbul, 1990. P. 78-118.
2. ساحلي أوغلو، قانون نامة، مجلة دراسات- الجامعة الأردنية، مج 3، 4-1986، ص111-127.

أوروبا والبلقان(منطقة تقع في جنوب شرق أوروبا)، الَّتِي فقدتها الدولة مُنْذُ هزيمة أنقره عام (805هـ/ 1402م)) [1].

وقد وُصفَ عصر بايزيد الثَّانِي (885-917هـ/1481-1512م (بالحملِ الثقيلِ، فمعِ أنّ هذا السلطانَ كَانَ يميلُ إلى السلمِ أكثرَ مِنْ الحرب كجدّهِ مراد الثَّانِي، إلاَّ إنَّ خلافَهُ مَعَ أخيهِ جَمٌّ (901هـ/1495م)، وبروزِ المشاكلِ مَعَ الشاهِ إسماعيل الصفويّ في العراق بعد ما علم يزيد الثَّانِي بتمادي الشاه الصفويّ في إلحاق الأذى بالسنة، وحربِهِ ضد المماليك في مصر والشام (889-895هـ/ 1485-1490م)، وصراعِ الأبناءِ على السلطةِ، قدْ منحَ عهداً جديداً في تاريخ الدولةِ العُثْمَانِيّةِ[2].

اختلفت شخصيه بايزيد الثَّانِي عن شخصيه والده، فقدْ ركنَ إلى حياةِ الزهدِ والورعِ، وكانَ على علاقةٍ سيئةٍ مَعَ والدِهِ أثناء ولايةٍ العهدِ، فعاشَ تَحْتَ الإقامةِ الجبريّةِ، أو ما سمي بنظام القفص، بسبب إدمانه على الحشيشِ والشرابِ.

وترك له والدُه دولةً واسعةُ، مثقلةً بالمشاكلِ العَسْكَرِيَّةِ نتيجة الحروب السابقة، فانقلب السلطان بايزيد على إجراءاتِ والدِهِ، فأعادَ الاعتبارَ إلى الدراويش، والممتلكاتِ إلى أصحابِها، وأعادَ للقبوقولو اعتبارَها، ولعائلة جاندرلي الصدارةَ العُظْمَى، ولقب نفسه بالولي.

---

1. العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 63-74.

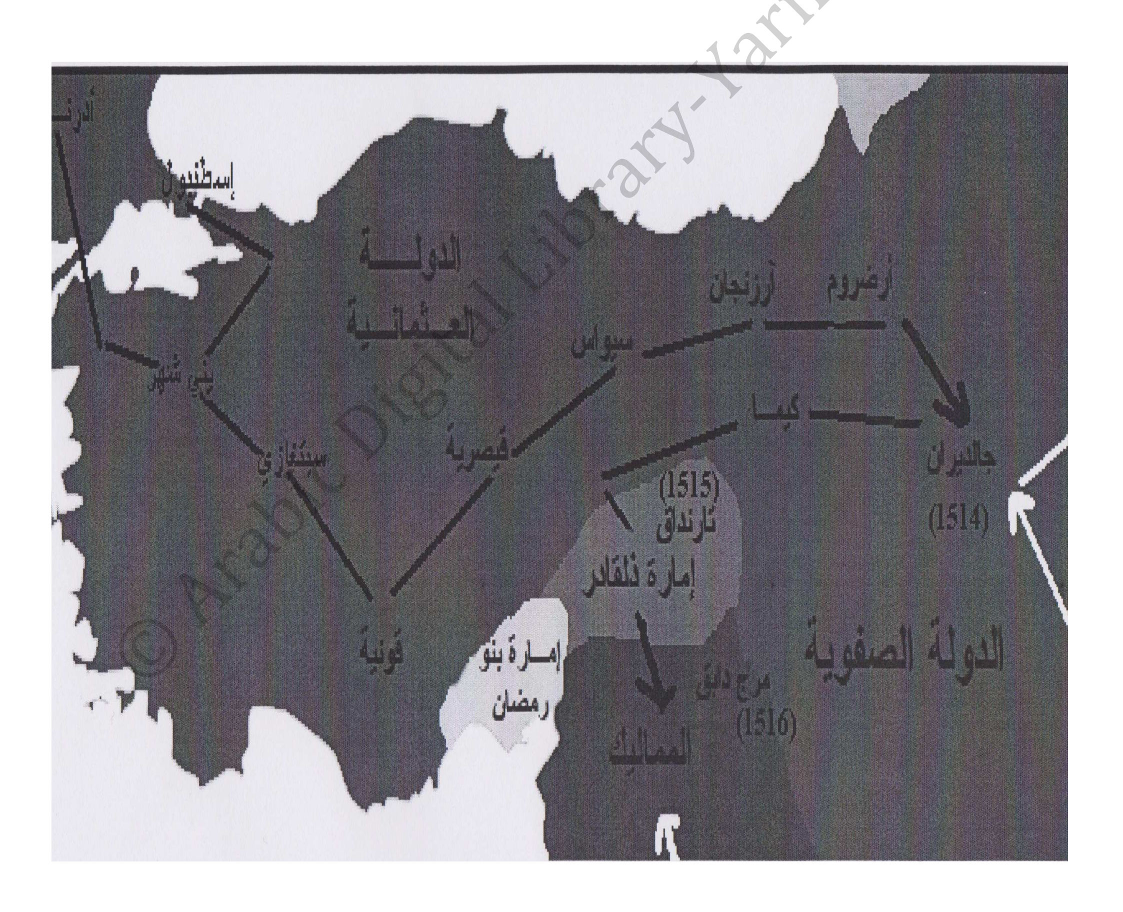
Inalcik,H"Mehmed II ,IA, Vol. 7/p.534-535.

2. S.Tansel, Sultan Beyezidin Siyaseti Hangati, Istanbul 1966. Uzuncarsili, "Beyezid II, IA, Vol. 2/p. 392-398.

لكن الظروف السياسية فرضت عليه حروبا في الروملي، وصراعاً مَعَ المماليكِ والإماراتِ التركمانيّةِ بَيْنَ الشامِ والأناضول. لكنّ تَعْيِينُ ابنه ياووز سليم[1] (917-926هـ/1512-1520م) وريثاً للعرشِ، أنقذَ الدولةَ مِنْ تكرارِ فتراتٍ أخرى.

على الرغم من هذا أصبحتْ إستانبول في عهدِ والدِهِ وعهدهِ ذا شهرةٍ عالميةٍ جديدةٍ مِنْ خلال بناءِ مسجديْ الفاتح وبايزيد، وفتحِ المدارسِ، وبناءِ قلعتيْ حصار الأناضول والروملي، وجناق قلعة (الدردنيل)، وتطويرِ الصناعةِ العَسْكَرِيَّةِ والذخيرةِ، وصناعاتِ النسيجِ، والأواني[2].

خريطة النفوذ العثماني والصراع مع إيران (الشيعة الصفويّة) [3]



---

1. Uzuncarsili, “Beyezid II, IA, Vol. 2/p. 392-398.

2. ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، 1960، ص 138-165.

3. ويكبيديا، موقع إلكتروني.

وشهدَ عهدُ الفاتح وبايزيد عملياتِ الاستيطانِ، وزيادةَ أعدادِ المسلمين في البلقان وسلانيك. كما زادتْ أعدادُ الدفشرمة بمعدل سنوي يزيدُ عن خمسة آلاف، حتى أنّ العبيدَ في نهايةِ عهدِ بايزيد بلغَ عددهم أكثر مِنْ مائتي ألف عبد في قصورِ السَّلَاطِينِ وكبارِ رجالِ الدولةِ العسكريينَ والمدنيينَ.

ووضع السلطان ياووز أولويات عدة مُنْذُ استلامه السلطة، أهمها[1]:

- القضاء على تمرداتِ الصفويينَ (إيران)، والقزلباش Kizilbas (مجموعةٌ مِنْ الجنودِ الشيعة ذو الرؤوسِ الحمراءِ) والدراويش (حركة عقائدية صوفية)، والقبائل التركمانية والهراطقة(الزندقة والخارجيِّن عن العقيدةِ في نظرِ الدولةِ العُثْمَانِيّةِ)، الَّتِي انتشرتْ في عهدِ والده.
- إعادة ما خرج مِنْ أراضي الأناضول إلى سلطة الدولة مِنْ قبل المتمردينَ.
- مواجهة البرتغاليينَ في البحر الأحمر والخليج العربي، الَّذِينَ كانوا يتربصونَ بالدولة العُثْمَانِيّةِ؛ بسبب ضعف الدولة المملوكيّةِ، وهزيمتها في معركة ديو (914هـ/1509م) على مضيق باب المندب، ثُمَّ تحالفهم مَعَ الشاه الصفوي (إسماعيل بن حيدر الصفوي مؤسس الدولة الصفويّة في إيران) بعد هزيمته أمامَ الدولة العُثْمَانِيّةِ في موقعة جالديران (960هـ/1514م).
- القضاء على خلاف الأخوة على السلطة بعد موت والدهِ، أمثال: كركود وأحمد.

وعلى الرغم من سنينَ حكمه القليلة، إلاّ أنّه استطاع أن يتحققَ في عهدِهِ أحداثاً مهمةً، تتمثل في:

---

1. لمزيد من التفاصيل عن حكم السلطان ياووز سليم، ينظر:

Atindag, Selim I, IA, Vol. 10,P.423-434

ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ص 145-190.

أ- التعامل مَعَ مسألة الوراثة، ولجوء أبناء أخيه أحمد إلى الشاه إسماعيل الصفويّ والمماليك عام 918هـ/1513م، وقدْ نجمَ عن ذَلِكَ مِنْ مشاكل كثيرةٍ، وكانتْ أحدُ أسبابِ الحربِ مَعَ الصفويينَ والمماليك.

ب- طهَّر الأناضول مِنْ الهراطقة، وقيل: إنَّهُ قُتلَ منهم أكثر مِنْ أربعين ألف، وطُهر نظام التِّيمار مِنْ جميع قادته الَّذِينَ تعاملوا معَ الأعداءِ.

ج-فتح تبريز (في إيران حاليا) عاصمة الصفويين، وذلك في معركة جالديران 919هـ/1514م.

د- السيطرة على بلادِ الشام في معركة مرج دابق (921هـ/1516م)، ومصر في معركة الريدانية (922هـ/1517م).

هـ-تبعتْ الحجاز له، وتسلم مفاتيح الحرمين الشريفين مِنْ شريف مكة محمد بن نُمي، وحملَ السلطان مِنْ حينها لقب خادم الحرمين الشريفين.

وقد توفي السلطان سليم عام (926هـ/1520م)، وكان همُّهُ الأكبر إبان عهده القضاءَ على جذور الصفويينَ (سلالة مِنْ آل صفويان حكمتْ بلاد فارس 907-1149هـ/1501-1736م)، واستقرارَ الدولةَ؛ وصولا بها إلى الإمْبِرَاطُورِيَّة.

وأتمَّ ابنُهُ سليمان القانوني (920–973هـ/1520–1566م) الوريثَ الوحيدَ لأبيهِ، مهمة والده وأجداده، وكان مِنْ أهم إنجازاته[1]:

أ– إصدار قانون نامه، وتنظيم الدولة، وخاصة حقوق الَّتِيماريينَ وواجباتهم، وقوانين الجيش والضرائب والقوانين الاجتماعيّة.

ب– قام بإنجازاتٍ مهمةٍ في الأناضول والمنطقة العَرَبِيَّة، أهمها:

1. إخماد ثورة جان بردي الغزالي في الشام 927هـ/1521م (قائدٌ مملوكي ثُمَّ صار والياً على الشام، تزعم ثورة مِنْ أجل الاستقلال عن الدولة العُثْمَانِيّة).
2. القضاء على تمرد شاه قولو في الأناضول (932–933هـ/ 1526–1527 م).
3. الحملة على بغداد، وإعادة السيطرة عليها عام (941هـ/1535م).
4. حملة السويس (944هـ/1538م) ضد البرتغاليينَ (حملة بحرية شنها الأسطول العُثْمَانِيّ في البحر الأحمر؛ لِتَكُونَ الانطلاقةَ الحقيقية في التحركِ ضد الخطرِ البرتغاليّ، الَّذِي يحدق بالمنطقة، ويهدد تجارتها)
5. الاستيلاء على تونس بقيادة خير الدين بربروسا عام (940هـ/1534م).
6. حملة إيران (960–961هـ/1553–1554م)، وسميت بالحملةِ الثالثةِ؛ على اعتبار أن السلطانَ سليمان القانوني قامَ بثلاث حملاتٍ ضد الدولة الصفويّةِ.

1. لمزيد من التفاصيل عن السلطان سليمان القانوني، وحملاته، ينظر: اندري كلو، سليمان القانوني، تعريب: البشير بني سلامة، دار الجبل، بيروت، 1991.
لوي باكي– جرامون، أوج الإمبراطورية العثمانية الأحداث 1512–1606.
تاريخ الدولة العثمانية، إشراف: روبير مانتران، دار الفكر، القاهرة، باريس، 1992.
أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ ص259–354
M. T Gokbilgin" Suleyman I, IA. Vol. 11/p. 99–155.

ج- أمّا حملاته في بلاد الروملي وأوروبا، فأهمها:

1. الاستيلاء على بلغراد ورودیس (928-927هـ/1521-1522م)
2. حملات المجر وحصار فينا 935هـ/1529م.
3. حملات وحروب استنزاف مَعَ المجريين (963-969هـ/1556-1562م)
4. حصار مالطا 967هـ/1560م.

وهَكَذَا أكدت هَذِهِ الحملات على أن هَذِهِ الدولة العُثْمَانيّة كَانَ لها دورٌ في السياسة الدولية إلى جانب روسيا وآل هابسبورغ (النمسا)، فعلى الرغم مِنْ الأضرارِ والآثارِ الماديّةِ والبشريّةِ، الَّتِي خلفتها تِلْكَ الحملات؛ فإن أثرَ تِلْكَ الحروب بدا واضحاً، وشكلتْ انفتاحاً على الحضارةِ الغربيّةِ مِنْ خلال التأثيرِ العُثْمَانِيّ (دولة مسلمة، سنيّة المَذْهَبِ) في ترسيخِ قيم الأخلاق وحقوق الإنسان المُخْتَلِفَة، مما شجعَ الحركة البروتستانتيّة (مَذْهَبٌ مُعَارَضٌ لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية) في النمو والظهورِ، بعدما ضاقتْ أوروبا ذرعاً مِنْ تَحَكُّمِ الكنيسة الكاثوليكيّة على عقولِ الناس.

ثانيا: عصر التأرجح بَيْنَ القوة والضعف مُنْذُ عهد السلطان سليم الثَّانِي إلى نهاية السلطان محمد الثالث (974-1012هـ/ 1566-1603م)

1- السلطان سليم الثَّانِي (974-982هـ/1566-1574م)

شهد عصر السلطان سليم الثَّانِي (973-981هـ/1566-1574م)، أكبر إنجازينِ عسكريينِ في تاريخ البحريّةِ العُثْمَانِيّةِ؛ **الأول:** فتح جزيرة قبرص، وتخليصها مِنْ البنادقة (إيطاليا) عام (978هـ/1571م)، وصارتْ مُنْذُ ذَلِكَ الوقت تابعة للدولة العُثْمَانِيّة إلى أنْ احتلَها الإنجليزُ عام (1288هـ/1871م). **والثَّانِي:** دخول تونس عام (981هـ/1574م)، وإعادة نفوذ الدولة العُثْمَانِيّةِ مرة أخرى، وتحريرها مِنْ الإسبان (أول سيطرة عثمانيّة على تونس كانتْ عام

(936هـ/1529م)، ثُمَّ عادت لإسبانيا عام(942هـ/1535م)، وعلى الرغم من حملاته في البحر المتوسط واليمن 978هـ/1571م، إلا أنّهُ كَانَ أول سلطان عثماني لم يخرج على رأسِ الحملاتِ العسكريّةِ، ولذلك أرسى قاعدةً خطيرةً، سارَ عليها الكثيرونَ مِنْ بعده. كما أنّهُ كَانَ مدمناً على شربِ الخمرِ، كسولا، محباً للمجالسِ، ولذا يصفُ المؤرخونَ عصرَهِ نهاية لامتداد عصر والده، وبداية عصر الانحطاط وعهد المتغيرات المتسارعة[1].

2-السلطان مراد الثالث (982-1004هـ/1574-1595م)

وَصفَ المؤرخونَ عهدَ مراد الثالث (981-1003هـ/1574-1595م)، بأنّهُ امتدادٌ لهيبةِ الدولة في عصر القانوني وما قبله؛ إذ استطاعَ مرادُ الثالث حسمَ الصراعِ مَعَ المغربِ، وتشكيلَ وحدة سياسيّة مَعَ سلطانها سنة 983هـ/1576م[2]، واستعانَ به كُلّ مِنْ ملكة إنجلترا في دعم البروتستانت ضد الكاثوليك، وكذلك ملك فرنسا الَّذِي فعل الشيء نفسه ضد إسبانيا، وحروب أخرى مَعَ إيران عام 985هـ/1578م، الأمرُ الَّذِي زاد مِنْ سيادة الْعُثْمَانِيِّينَ في تركستان، وزاد أيضا مِنْ احترام المَذْهَبِ السني.

أما بشأن حربه ضد النمسا (1000-1003هـ/1592-1595م)، وبعد الهدنة والصلح الَّذِي جرى بينهما؛ فقد حصلت الدولة العُثْمَانِيّة على أملاك جديدة في بلاد الغرب (بولونيا مثلا كانت ضمن الأقاليم التابعة للسيادة العُثْمَانِيّة)، كما وصلتْ في عهدِهِ إلى أَقْصَى اتساعٍ لها مِنْ المحيطِ الأطلسي إلى قفقاسيا ومن الدونة[3] إلى الحبشة[4].

---

1. Turan "Selim II, IA, Vol. 10/P. 434-441.

2. العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 93.

3. نهر يقطع عواصم أوربية عدة. ينظر: الأطلس الجغرافي العثماني، ص 44.

4. المحامي، فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت د.ط، 1977م، ص 15.

لكنّ السياساتُ الدَّاخِلِيِّة في عهده كالتغيراتِ المتسارعةِ في الصدارةِ العُظْمَى، وعدم خروج السلطان على رأس حملاتِهِ، وعصيان الإنكشاريّة والسباهيّة، والبذخ قد جعلَ نهايةَ عصرِهِ بدايةَ السقوطِ مِنْ الذروةِ[1].

3- السلطان محمد الثالث (1004-1012هـ/1595-1603م)

أ- شخصيته

هو السلطان الثالث عشر مِنْ سلاطينِ الدولةِ العُثْمَانِيّةِ، ويُعرف بمحمد الثالث بن السلطان مراد الثالث بن السلطان سليم الثَّانِي، ولد في (7 ذي العقدة سنة 974هـ/16 أيار 1566م)، وأمه تُدْعَى (صفية)؛ جارية إيطالية الأصل[2].

تضاربت الآراءُ في وصف شخصيته، فالرأي الأول يصفه بقوة الشخصية والثقافة العالية، وأنه أكثر السَّلَاطِين الَّذِينَ سبقوه احتراماً للعقيدة والرسول، يتصف بأنه على درجة عالية مِنْ الرقي، حليم، صاحب وقار وهادئ[3].

تتلمذ على يد شيخ الإسْلام سعد الدين أفندي(1003هـ/1595م)، وجعفر أفندي (981 هـ/1574م)، وحيدر أفندي (987هـ/1580م)، وتربى كَذَلِكَ على يد الوزير الأعظم مانيسلي لالا محمد باشا Manisli Mehmed Pasa، ورمضان أفندي، مصطفى باشا، زاده قورد بكkurtzade Bey، ولالا علي باشا Lala Ali Pasa، وكلهم ذو سمعة علمية وإدارية وعسكرية عالية[4].

---

1. Kutukoglu, Murad III, IA, Vol.8/P. 615-623.
2. Nuri Pasa, Netayic Ulvukuat,vol.TT,Ankara1988, Vol.1/P. 170-181.
3. Ibid, Vol. 1/p. 183-189.
4. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص435-442.

من جانب أخر وُصف أنه كَانَ تَحْتَ تأثير والدته، أُتصف بالأوهام والتردد، فقام بقتل أخوته 19 الذكور قبل دفن والده، ودفنوا معاً قرب كنيسة آيا صوفيا، ويُعد قانون قتل الأخوة بمثابة تطبيق وإقامة حد العصيان ضد الدولة،وتُفسر تِلْكَ الظاهرة لربما خشية التآمر عليه، ووصولهم إلى العرش، ومنعا للتمرد والعصيان، ودرءا للفتنة والدسائس الَّتِي كانت تُحاك بَيْنَ الأخوة.

ووُصف كَذَلِكَ بأنّه لَيْسَ داهيةً كأبيهِ وجدهِ اللذان تربيا في عهد القانوني، وكثيراً ما امتنع عن الأكل والشرب بسبب المشاكل الدَّاخِلِيَّة والخارجيَّة مِنْ قبل الجلاليين (قزلباش) والإيرانيين في الأناضول والحدود الشرقية للدولة[1].

ومع أن عصر والده، يعتبر آخر عصر القوة، كَانَ لمحمد الثالث دورٌ كبير في سلطنة والده، فهو آخر سلاطين الدولة العُثْمَانِيّة بعد السلطان سليمان القانوني مِنْ حيث تولي منصب السنجق بك (رتبة إدارية للإشراف على الألوية مثل لواء، إقليم) وهو بكلربكي[2] بإستانبول(أمير أمراء) في ظل الأزمات الدَّاخِلِيَّة، وفي مقدمتها أزمة الصدارة، وقد نظمتْ قصائدٌ كثيرةٌ ابتهاجاً بوفاته[3].

ب- عصيان السيباهية

اختارت السيباهية حسين خليفة، وبويراز عثمان Poyraz وكاتب جزميcezmi، وأرسلوا إلى السلطان يخبروه بأن الجلاليين (يشكلون القسم الأكبر مِنْ سكان الأناضول، وكانت ثورتهم ضد السلطان والدولة) يعتدون على الأناضول ويعيثون بها فساداً ليلاً نهاراً، بَلْ أنهم قاموا

1. Gokbilgin, “Mehmed III, IA”, Vol. 7/p. 535-457.

2. لمزيد من التفاصيل بنظر: إحسان أوغلو، أكمال الدين، (إشراف وتقديم)، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، (مجلدان)، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسْلَامِيّة، استانبول، د.ط، 1989، ص 251.

3. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص437.

باغتصاب نساء العسكر، وهدم بيوتهم أثناء تواجدهم بالحرب، وأن القائد العسكري الَّذِي أرسلَهُ السلطان لمعالجةِ الوضعِ، يُدعى طواشي خسروا باشا؛ لم يُظهرْ براعة وحنكة، وكان عديمَ الخبرةِ والفائدةِ[1].

وإن هذا الحال أصبح بسبب القائم مقام السابق، ساعتجي حسن باشا، Saatci، وقبواغاسي غضنفرKapi Agasi Gazanfer، وأغادار السعادة عثمان، ونريد معاقبتهم".

بالفعل تم إعدام الأغوات السابق ذكرهم تجنباً للعصيان، وحينما رأتْ الإنكشاريّةُ ذلكَ، لمْ تطالبْ بالأعطياتِ، ونجتْ بذلك مِنْ الموتِ.

وقام الصدر الأعظم حسين باشا Yenlisci، بترفيع أعداء الإنكشاريّة، وهم:

1- أغا إلى مرتبة شيخ الإِسْلام.

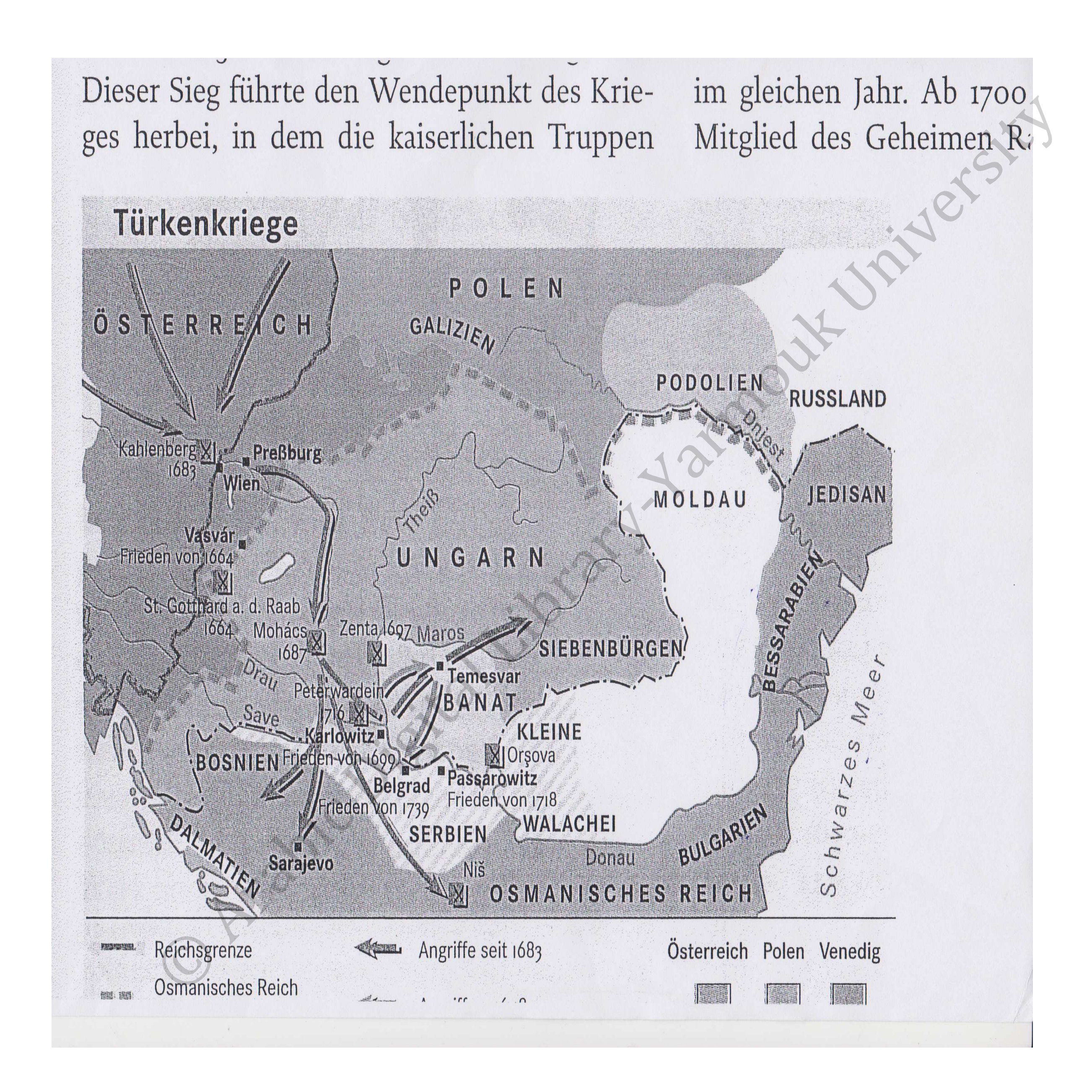
2- محمود باشا إلى قائم مقام[2].

---

1. T. Schmidt, 1596 Military History and Problem Sources Vienne 1985, P.123-143.

2. Nuri Pasa, Netayic Ulvukuat, Vol.1/p. 191-210.

خريطة توسع الإمبراطورية العثمانيّة على حدود النمسا وبولندا والبندقية[1]



1. Helmut M. Mueller Schlaglichter Der Deutsche Gesehidute Buendes Zeutraler Fuer Politisdu Bildung Bonn 2002.

ج- الأحوال الخارجيّة

العلاقات النمساويّة- العُثْمَانِيّة:

لم تمض ثلاثةُ أشهرٍ على جلوسِ السلطان محمد الثالث حتى بدأت العلاقات النمساويّة - العُثْمَانِيّة بالتوتر، في ظلّ ظروفٍ عثمانيةٍ تشهدُ أزمةَ الصدارة العُظْمَى.

ففي الوقت الَّذِي كَانَ فيه إبراهيم باشا القائدُ الأعلى للجيشِ العُثْمَانِيّ في طريقهِ إلى الجبهةِ النمساويّةِ (1003هـ/1595م)، عُزل نتيجة مؤامرات سنان باشا قبلَ اجتيازهِ نهر الدانوب في النمسا أثناء عسكرته في رستجق Rustauk[1].

أمّا بالنسبة للنمسا، فتألفتْ قوتُهم مِنْ حوالي سَبْعِينَ أَلْفَ جنديٍّ؛ منهم خَمْسونَ أَلْفَ مِنْ المشاة، والباقي مِنْ الفرسانِ، بقيادة الأمير مانسفلد، الَّذِي بدأ في فرض الحصار على منطقة استرجون Estergon (بولندا) في بداية تموز، أمّا الجيش العُثْمَانِيّ، فقد قادَهُ محمد باشا بن قوجا سنان باشا، وقدْ وصفَ محمدُ باشا كأبيه بالغباءِ العسكريِّ، بَلْ أنّهُ كَانَ يفوقُ والدَهُ نذالةً، وجبناً، وفاقداً لكلِّ أبجدياتِ الشرفِ العسكريِّ[2].

وقد انتهتْ المواجهةُ بَيْنَ الطرفينِ بهزيمةِ الجيشِ العُثْمَانِيِّ، ويعزو المؤرخونَ العُثْمَانِيّونَ ذَلِكَ إلى عدم استماع محمد باشا إلى قادة الجيش العُثْمَانِيِّ، وخططهم العسكرية.

واستمرَ حصارُ الجيشِ النمساويِّ لاستراجون اثنين وستين يوماً تَحْتَ قصفِ مدفعيٍّ نمساويٍّ بدون توقف، وتُفيدُ رواية الحصار أنّ عددَ المدافعِ النمساويّةِ بلغَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مدفعاً،

---

1. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص444-445.

2. Schmidt, 1596 Military History. P.125-140.

تطلقُ ما معدله مِائَتَيْ قذيفةٍ يومياً، في ظلِّ ظروفٍ عسكريّةٍ عثمانيّةٍ سيئة وقاسية؛ إذ استطاعَ النمساويون قطعَ المياه عن الجيش العُثْمَانِيِّ[1].

اضطر العُثْمَانِيّونَ إلى الموافقة على الانسحابِ مِنِ القلعةِ، وغادرَ أميرُ أمراء الأناضول القلعةَ مَعَ جنودهِ باكياً، لا يحملون إلا ما يستطيعونَ حملَهُ، وقد أشرفَ الأميرُ النمساويُّ نفسُهُ على عمليةِ التسليمِ في (12 ذي الحجة1003هـ/ 2 أيلول 1595م).

وتعدُّ قلعةُ استراجون أحدَ أهمَّ القلاعِ العَسْكَرِيَّةِ، الَّتِي تقع على طريق بودابست في المجر– فيينا (في النمسا)؛ فتحَها القانوني، ونهبَ الإسبانُ كُلَّ آثارِها التاريخيّةِ القديمةِ، الَّتِي حافظ عليها العُثْمَانِيّونَ مدة (52 عام)[2].

1. **حملة آردل** Ardl:

كان سنان باشا أثناء معركة استراجون، يرابط في بخارست (رومانيا)، وبعدما تركَ فيها حاميةً مِنْ أَلْفَيْ جنديٍّ بقيادة أمير أمراء الأفلاق ساطرجي محمد باشا، وقدْ سارَ على رأس مِئَةِ أَلْفِ جنديٍّ إلى آردل (الَّتِي فرَّ إليها فويفودا ميخائيل Mihai (لقب حاكم آردل).

وكانَ ميخائيلُ على يقين مِنْ عدمِ قدرةِ سنان باشا على مواجهتِهِ، لذا بدأَ سياسةَ الهجومِ على الجيشِ العُثْمَانِيّ، وملاحقتِهِ في كُلِّ مكانٍ. واستطاعَ ميخائيلُ دخولَ تاركوفيتشه في(2 صفر 1004هـ/ 19 تشرين الأول 1595 م)، وحبسَ ما يقارب ثلاثةَ آلافٍ وخمسمائة مِنْ الجنود الْعُثْمَانِيِّينَ، وشوى قائدَهم علي باشا، وكبارَ ضباط، وباقي الجند على نارٍ هادئةٍ، وتتمادى الرواية في أنه جعلَهم مائدةَ عشاءٍ لجنودِهِ[3]، وهذا واردٌ آنذاك.

1. Ibid, p. 130-131.
2. Hammer, Devlei Aliyye- Osmaniye Tarihi Vol. 7 Istanbul 1337, P.308.
3. Uzuncarrsili, Osmanli Tarihi,Vol. 3, P. 121-133.

وأثارتْ هَذِهِ الحادثةُ هلعَ الصدر الأعظم سنان باشا، الَّذِي انسحبَ بشكل مفاجئ إلى يركوي Yerkevi، الَّتِي تقع مقابل رستجق على الضفة الأخرى لنهر الدانوب، واجتازَ النهرَ في ظروفٍ غامضةٍ[1].

أما جند الصاعقة العُثْمَانِيّونَ، فقد كانوا في مؤخرة الجيش العُثْمَانِيّ لحمايته أثناء عبور النهر، وقيل أنهم التهوا بجمع الغنائم، وقد حصل خلاف كبير بَيْنَ قوات الصاعقة وبين سنان باشا الَّذِي شكل حرساً لحصر الغنائم للاستيلاء على خُمْسها حسب القانون العُثْمَانِيّ[2].

فصلت هَذِهِ الحادثة قوات الصاعقة عن الجيش العُثْمَانِيّ، الَّذِي دخل جسر الدانوب، بينما جنود الصاعقة على الجسر، فاستغلَ ميخائيلُ، الَّذِي يقود أكثر مِنْ سَبْعِينَ أَلْفَ جنديٍّ مِنْ الأسبان والافلاق والبغدان (ولايتان عثمانيتان في رومانيا والمجر) وآردل، هذا الوضعَ، وهدمَ الجسرَ بنار المدفعيةِ، فأغرقَ خيرَ كتائبِ الصاعقةِ، الَّتِي كَانَ الجيش العُثْمَانِيّ يعتمدُ عليها اعتماداً كبيراً؛ بسبب تدريبها العسكريّ القويّ، وقد وُصفتْ هَذِهِ الحادثةُ بأنّها كارثةٌ كبيرةٌ جداً[3].

ولأن سنان باشا لم يُظهرْ كعادتهِ تأثراً كبيراً على هَذِهِ الحادثةِ، فقد كَانَ جُلُّ هَمِّهِ الخوفَ على منصبهِ في العاصمةِ، واهتمامه بالغنائمِ الَّتِي حصلَ عليها، مما يتيحُ له فرصة كبيرة لتقديم الرشاوى لرجال الديوان السلطاني، فقدْ قامَ ميخائيلُ بدخول قلعة يركوي، وقتلَ جميعَ مَنْ فيها مِنْ المسلمينَ رجالاً ونساءً وأطفالاً[4].

---

1. Ibid, p. 136.
2. Naima, Tarih, Istanbul 1976, Vol.1/P. 169-172.
3. Munacim Pasa, Tarih, istunbul 1958, Vol.3/P. 582.
4. Solak Zade Tarih, Istunbul 1946, P. 622.

وأثمرت هَذِهِ الحرب عن سقوطِ القلاعِ العُثْمَانِيّةِ في ولاية آردل Erdel حتى حدود تطمشورا (ولاية في رومانيا)، أمّا سنان باشا، فقد عزلَ بعد أَحَدَ عَشَرَ يَوْماً مِنْ عودته إلى العاصمةِ رستجق.

2. حملة ايكري Egri [1]

أجبرتْ الظروفُ السابقةُ السلطانَ محمد الثالث إلى الخروجِ على رأسِ الجيش العُثْمَانِيّ بنفسِهِ، وهو ما لم يفعلْه مِنْ قبله مُنْذُ نهاية سليمان القانوني.

ووصلَ السلطانُ محمد بلغرادَ في (12 ذي الحجة 1004هـ/10 آب 1596م)، وبعد أَحَدَ عَشَرَ يَوْماً مِنْ مراسمِ الحفاوةِ، والتكريمِ الكبيرِ له مِنْ قبل سكانِ المدينة، وغادرها إلى مدينة Sigedin في (7 أيلول)، ومنها إلى قلعة إيري[2].

وكانت القلعة الكُبْرَى الَّتِي تقع في شمال المجر (هنغاريا) تَحْتَ سيطرة النمسا، وقدْ فشلَ العُثْمَانيّونَ في فتحِها في عهدِ القانوني الَّذِي حاصرَها تِسْعاً وَعِشْرِينَ مرةً. في حين استطاعَ محمدُ الثالث فتحَ هَذِهِ القلعة المنيعة، بعد حصار دام (18 يوماً مِنْ 24 أيلول-12 تشرين الأول)، ويروى أنّ النمسا خسرتْ في هَذِهِ المعركةِ ألفَ ومئةِ جنديٍّ[3].

وصلى سعدُ الدين أفندي صلاةَ الجمعة الأولى في ايري في 18 تشرين الأول. وصدرَ الحكم السلطانيّ بتشكل ولاية إيكري، وعُينَ عليها أمير أمراء ارخروم صوفو سنان باشا أميراً عليها[4].

---

1. تدعى حملة ايكري الهمايونية، وقعت عام 1596م ضد النمسا، لمزيد من التفاصيل ينظر: العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 102.
2. Feridun Bey, Munsaat Essalatin,Istunbul 1958, Vol. 2/P10 1.
3. Pecevi, Tarih, Vol. 2/P. 193.
4. Naima, Tarih, P. 144-153.

3. معركة هاجوفاHacova:

جرى اللقاء العُثْمَانِيّ الألماني الأول في هاجوفا بعد عشرة أيام مِنْ سقوط إيكري في (22 تشرين الأول)، وخسرَ العُثْمَانِيّونَ هذا اللقاءَ بسقوط ألف ومئة جنديٍّ عثمانيٍّ، وفقدان اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مدفعاً، وتجدد اللقاء في(3 ربيع الأول 1005هـ/ 26 تشرين الأول 1596م).

وبلغَ عددُ الجيشِ العُثْمَانِيِّ في هَذِهِ المعركةِ مئة وأربعين ألف جنديٍّ مِنِ السيباهية والخيالة والإنكشاريّة وجنود القرم، فيما قَدَّرَ الجيشُ النمساويّ بِحَوَالَيْ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ ومئةِ مدافعٍ بقيادة الأرشيدوق ماكسمليان Makimilian [1] (مِنْ ألقاب رجال الدين المسيحين، ونفس الوقت حاكم)

وبدأت المعركة بهجوم خارق للجيش النمساوي في العمق العُثْمَانِيّ حتى قيل: إنهم وصلوا إلى مشارفِ الخيمةِ السلطانيّةِ، فترجلّ السلطانُ عن حصانهِ، ودخلَ خيمتَهُ، وبدأ يُصلي ويدعو الله، حاملاً رمح الرسول في يده، وعلى كتفه البردة النّبويّة الشّريفة[2].

وقدْ خشي الصدرَ الأعظم إبراهيم باشا مِنْ وقوعِ السلطان في الأسرِ، ونصحَهُ بالانسحابِ كضرورةٍ عسكريّةٍ، وفي الوقت الَّذِي امتطى السلطانُ جوادَهُ تنفيذاً للانسحاب، قبضَ شيخ الإسْلام خوجا سعد الدين أفندي (رئيس أساتذتهِ وأساتذة أبيهِ) عن عنان الجواد قائلاً: "إن الجيشَ لا ينتصر إلا بقيادة السلطان، الحرب كرٌ وفرّ، إن الجيشَ السلطانيّ الَّذِي تتجلى فيه روح الرسول – صلى الله عليه وسلم–، جيشٌ منصورٌ، لا يهزم أبداً"[3].

وأثارت هَذِهِ الكلماتُ حَمِيَّةَ الكتائبِ الصاعقةِ، فشنّوا هجوماً استشهادياً، وسعد الدين أفندي لا يزالُ ممسكاً بجواد السلطان، يمنعهُ مِنْ التحرك، وأسفرتْ هَذِهِ المعركةُ، الَّتِي دفع

---

1. Uzuncarsili Tarihi, Vol. 3/P. 155.
2. Nuri Pasa, Netayic Ulvukuaat, Vol. 1/P. 167.
3. Solak Zade, Tarih, P.630.

العُثْمَانيّونَ بكل قواهم العَسْكَرِيَّة والجهادية إلى هزيمة الجيش النمساوي الَّذِي خسر أكثر مِنْ خَمْسِينَ أَلْف في الميدان، وعِشْرِينَ أَلْف ماتوا في المستنقعات، وغنم العُثْمَانيّونَ أكثر من مئةِ مدفعٍ، واستمر قسم مِنْ الجيش العُثْمَانِيّ بقيادة فتح قوجا أوغلو cogaloglu سنان باشا الَّذِي سقط منه آلاف الشهداء إلى ملاحقة الجيش النمساوي وأسروا قسماً مِنْ جنوده كذلك[1].

ويُقَيِّم المؤرخون هَذِهِ المعركة، بأنها مِنْ أكبر الانتصارات العُثْمَانِيّة[2]، وكان مِنْ الممكن لو لم يتوقف الجيش، وبقي مستمرا في تقدمه أن يفتتح مدناً كثيرة، لكن يبدو أن فهم الْعُثْمَانِيِّينَ لقدراتهم العَسْكَرِيَّة وقدرتهم على حماية مكتسباتهم، كانت السبب وراء توقف زحفهم، وربما أن عدم خوض الجيش العُثْمَانِيّ لحروب كبيرة مُنْذُ نهاية سليمان القانوني قد جعله يكتفي بانتصارات ايكري[3].

شهدتْ السنتان التاليتان استمرار المواجهاتِ العُثْمَانِيّةِ النمساويّةِ أشبه بحرب الاستنزاف؛ إذ عينَ الوزير ساطرجي محمد باشا قائداً عاماً للجبهة النمساويّة بين (10 شوال1005-6جمادى الآخر1007هـ/9 حزيران 1597-1599/1/6م)، وعلى الرغم من عدم خبرته العَسْكَرِيَّة الطويلة استطاع ساطرجي محمد باشا إبعادَ النمسا عن شمال بودين Bodin بعدما استولى على Tata قادماً مِنْ بلغراد الَّتِي غادرها في 13 آب[4].

ومع أنه خلص Yanikو تاشوار مِنْ يد النمسا كذلك، إلا إنّ النمساويينَ الَّذِينَ كانوا دائميْ التجسس على قلعة Yanik مِنْ فينا(90كم)، قد استطاعوا استعادةَ القلعة بشكل غير

---

1. Hamnar Tarih- Devlefi Aliye, Vol.7/P. 319-324.

2. العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 102.

3. Katib Celebi, Fezleke, Vol. 1/P. 90.

4. Pecevi, Tarih, P. 195-203.

متوقع في(8 شعبان1006هـ/ 29 آذار 1598 م)[1]، وتفيدُ الروايةُ التاريخيّةُ كيفيةَ السيطرةِ النمساويّة على القلعة، بأنّ قافلةً عسكريّةً عثمانيّةً كانتْ تحمل أرزاقاً للقلعة، قادمةً عن طريقِ بلغراد استولنى Estolni، قد وصلتْ باب القلعة، وما إن فتحَ الحراس الباب حتى اندفعَ الجنودُ النمساويون الَّذِينَ كانوا ينصبونَ كميناً على الجسر إلى داخلِ القلعة، فقامَ محمود باشا محافظ القلعة بتفجيرِ مخازن البارود فيها، فضحى بنفسه وجنوده (300) الَّذِينَ كانوا معه، فأفشل الهجومَ النمساويّ بعد ما قتلَ المئاتَ مِنْ جنودهم، ولم يبقَ في القلعة مِنْ الجنود الْعُثْمَانِيِّينَ الَّتِي يبلغ عددُهم أربعةَ آلافَ جنديٍّ سوى ثلاثمائة جنديٍّ، تَحْتَ قيادةِ أحدِ ضباط الإنكشاريّةِ، ويدعى يحيى أغا[2].

واستمرتْ السيطرةُ العُثْمَانِيّةُ على Yanik للمرة الثَّانِية ثلاثَ سنواتٍ وستة أشهرٍ ويومين، ويعدُّ سقوط Yanik بعد ذَلِكَ على يد الأسبان موازٍ لسقوطِ إيري في يد الْعُثْمَانِيِّينَ.

واستمرتْ المناوشاتُ العُثْمَانِيّةُ – النمساويّةُ على الجبهة، فاستولى غازي كيراي الثَّانِي على قلعتي جاناد Csanadوآراد Arad، وحاصر فارات في (2 تشرين الأول حتى 3 تشرين الثَّانِي)، في المقابل حاصر الارشيدوق ماثياسMatthias وبودين بَيْنَ (28 أيلول– 2 تشرين الثَّانِي) بقوة تزيد عن ثَمَانِينَ أَلْفِ جنديٍّ، وقصفَ الأسبانَ بالمدفعيةِ أكثر مِنْ ثمان ألف بيت في بودين[3].

وقدْ كانتْ حربُ الاستنزاف تِلْكَ كبيرةً، خسر فيها الطرفانِ، واستشهدَ فيها اثنان مِنِ الألوية العُثْمَانِيّة، وجرحَ الترياقي حسن باشا، ونتيجة لذلك عُزلَ السلطان محمد الثالث ساطرجي

---

1. Hammer, Tarih , Vol. 7/P. 328.
2. Naima, Tarihi, Vol. 1/P. 204.
3. FeridunBey, Munsaat Esslatinm Vol. 2/P. 118-119.

محمد باشا مِنْ قيادة الجيش، أيْ بعد شهر مِنْ عودته إلى بلغراد، أيْ بعد ثمانية أشهر، وعزل كَذَلِكَ في الوقتِ نفسِهِ الصدر الأعظم جراح محمد باشا، وعُينَ الداماد إبراهيم باشا صدراً أعظم، وقائداً أعلى للجيش العُثْمَانِيّ في (6 جمادى الآخر 1007هـ/6 كانون الثَّانِي 1599م).

4. حملة اويفار Uyvar

تقعُ قلعةُ اويفار النمساويّة في سلوفاكيا، حاصرَها الصدرُ الأعظم، قائدُ الجيش العُثْمَانِيِّ، بمعية غازي كيراي الثَّانِي بين (10 شوال1007- 5 جمادى الأول1008هـ/ 15 أيار- 26 تشرين الثَّانِي 1599).

وفشلتْ مفاوضاتُ الصلحِ النمساويّةِ – العُثْمَانِيّةِ، الَّتِي قادَها أميرُ أمراء ديار بكر قويومجي Koyumcu مراد باشا (صهر قاضي زاده علي باشا أمير أمراء بودين) والفويفودا mihail، الَّذِي استرحمَ السلطانَ؛ لكي يقبلَ ولاءَهُ[1].

وفي هَذِهِ الأثناء عادَ الصدرُ الأعظم إبراهيم باشا إلى بلغراد، وقضى الشتاءَ فيها بين (5جمادى الأول1008-2 صفر1009هـ/ 26 تشرين الثَّانِي 1599- 14 آب1600م)، بينما حاصرَ قسم مِنْ الجيش العُثْمَانِيّ قاننجه بين (3ربيع الأول1009- 5جمادى الأول 1009هـ/12أيلول-22تشرين الثَّانِي1600م)، واستطاعَ فتحها، في حين سيطرَ الأسبانُ على قلعة Nagy- Kanisza بيْنَ بحيرة Balaton و Dtava، لكنّ النمساويونَ فشلوا بقيادة فليب عمانويلPhilippe، ودوق Lorraine، وتحت لوائهم أَرْبَعُونَ أَلْفَ جنديٍّ مِنْ نجده قاننجة، الَّتِي جعلَها العُثْمَانِيّونَ مركزَ ولاية، وخصص لها خمسة آلاف جنديٍّ لحمايتها[2].

---

1. Hammer, Tarih, Vol. 7/P. 335.
2. Munaccim Basi, Tarih, Vol. 3/P. 598.

وبقي إبراهيم باشا بقيةَ الموسمِ الشتويِّ في بلغراد بين (6جمادى الآخر 1010هـ إلى 12 ذو الحجة 1009هـ/ 30 تشرين الثَّانِي – 1 تموز 1601م)، ثُمَّ قادَ حملةً جديدةً على النمسا، لكنَهُ توفي في الطريق في (10 تموز)، ويوصف الصدر الأعظم بأنّهُ سياسيٌّ وعسكريٌّ بارع، استطاعَ أنْ يُخضعَ اويفار وقاننجه وقلاع ثانوية أخرى. كما استولى محمود باشا أحد قادته العسكريين على الإفلاق بكاملها، فعرضت بغدان وآردل طاعتهما[1].

كان موت الصدر الأعظم إبراهيم باشا نكسة للعسكرية العُثْمَانِيّة، إذ إن خليفته يمشجي حسن باشا Youmusaci لم يكن قائداً محنكاً، بَلْ وصفه المؤرخون بالعجز وتخريب المخططات العَسْكَرِيَّة لسلفه، فاستغلَ النمساويون تِلْكَ الفرصةَ، فحشدوا قواتهم، أمّا قاننجة فبقيادة الارشيدوقFerdinand، وتحت أمرته مئة ألف جنديٍّ وسبعة وَأَرْبَعِونَ مدفعاً، وشرعوا في حصارِها[2].

وكان محافظُ القلعة ترياقي حسن باشا في الثمانينَ مِنْ عمره، وكان داهيةً عسكريّةً، ذكياً، صاحبَ حيلةٍ. مُنْذُ أيام سليمان القانوني، لم يكن بمعيته سوى تسعة آلاف جنديٍّ ومئة مدفعٍ. وقام حسن باشا، الَّذِي كَانَ على مقربةٍ مِنْ القلعةِ، بالانسحابِ، وتركَها للقذائفِ النمساويّةِ، الَّتِي تنهال عليها بمعدل (1500) قذيفة في اليوم[3].

وأذهل انسحابُ حسن باشا، الَّذِي أودع مصير القلعة لحماية الله وإلى مشاة أفراد، الجيشَ النمساويّ، فرفضتْ الوحداتُ المجرية في الجيشِ النمساويِّ قتالَ الأتراك، كما أصابَهم

---

1. pecevi, Tarih, Vol. 2/P. 204-206.
2. Bilgic, A,Kaninca Savasi, Istanbul,1985, P. 120-121.
3. Ibid, P. 124-125.

الشؤمُ بعد مقتل ابن أخ البابا على يد قناص عثمانيّ، وتضعضعت هممهم، لكنّهم استمروا في حصار القلعة برغم الثلوج[1].

وأوهم حسن باشا الَّذِي قلت ذخيرته بهجوم ليلي على الأسبان في اليوم (69 مِنِ الحصار ليلة 17-18 تشرين الثَّانِي)، فاستولى الخوفُ على الأسبان ظناً منهم: أن الجيش العُثْمَانِيّ قد أغار عليهم فهرب النمساويون بعد أن فقدوا في الحصار والانسحاب حوالي (80.000) جندي، وغنم العُثْمَانِيّونَ (47) مدفعاً، و(14000) بندقية، و(60.000) خيمة، و(14000) معول ومسحاة، والآلاف مِنْ العربات المليئة بـ(الغذاء، والبارود. والأدوية، والملابس، والأسلحة، وسرادق الارشيدوق، وخزائنه)[2].

وكان لهذا الانتصار على الأسبان وقع عظيم في دار السعادة (مِنْ أسماء إستانبول)، وأنعمَ السلطانُ على حسن باشا رتبةَ الوزارة (مارشال)، وسيفاً مرصعاً بموجب الفرمان السلطاني[3].

وشهدتْ السنةُ الأخيرةُ مِنْ عهد السلطان محمد الثالث استمرارَ الاشتباكاتِ العُثْمَانِيّةِ النمساويّةِ؛ إذ استرجعَ حسنُ باشا طريقَ استوليني – بلغراد، طريق الإمداد الرئيسي إلى قاننجة، والذي كَانَ قدْ وقعَ تَحْتَ سيطرةِ الأسبانِ بينَ (1محرم1011 –2صفر1011هـ/ 12 تموز – 6 آب 1602م)، كما هزمَ الأسبان الَّذِينَ حاصروا بودن بثمانين ألف جنديٍّ في (6جمادى الآخر1011هـ/ 18 تشرين الثَّانِي 1602م)، على يد لاله محمد باشا، الَّذِي أصبح صدراً أعظم وقائداً للجيش العُثْمَانِيّ، وبعد معارك عنيفة قرب بودين بين (11ذو القعدة –4ربيع الثَّانِي1012هـ/ 11 أيار –12 أيلول 1603م) عادَ الصدرُ الأعظم محمد باشا إلى بلغراد؛

---

1. Ibid, p. 126-127.
2. Ibid, p. 128-130.
3. Naima, Tarih, P.254.

لقضاء الشتاء فيها حتى وفاة السلطان محمد الثالث في(7رجب1012هـ/ 21 كانون الأول 1603م)[1].

1. Hammer, Tarih Devlei Aliye, Vol. 8/p. 9-14.

الفصل الثَّانِي

الأحوال السياسية في عهد السلطان أحمد الأول

(1012-1026هـ/1603-1617م)

أولا: شخصية السلطان

ثانياً: الأحوال الدَّاخِلِيِّة

1- الصدارة العُظْمَى

2- سياسة السلطان مَعَ الحريم

3- ثورات الجلالين

4- تقييم الوضع الدَّاخِلِيِّ

ثالثاً: الأحوال الخارجيِّة.

1- الحرب النمساويّة (آل هابسبورغ) – العُثْمَانِيّة

2- الحرب الشيعة الصفوية – العُثْمَانِيّة

3- حملة البحر الأبيض المتوسط

أولاً: شخصية السلطان أحمد الأول (1012-1026هـ/1603-1617م)

هو السلطان الرَّابِع عشر، ولدَ في مانيسيا، مسقط رأس والده محمد الثالث وجده مراد الثالث، جاءَ إستانبول، وعمره خمس سنوات، هو السلطان الوحيد، الَّذِي لمْ يتولَ رتبةَ أمير أمراء (سنجق بك)؛ لصغر سنه، وقد خُتنَ يوم توليه ولاية العهد، وعمره ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وثمانية أشهرٍ، استمرَ في ولاية العهد لمدة سنة ونصف[1].

خلفَ مِنْ الأبناء (14)، ومن البنات (6)، لمْ يتبقَ منهم مِنْ نسل بني عثمان إلا أصغرُ أبناءِ السلطان إبراهيم (1050-1058هـ/ 1640-1648)، ولم يعتلِ السلطةَ إلا ثلاثةٌ، وهم: مصطفى وعثمان ومراد، (وهم جزء مِنْ هَذِهِ الدراسة). وكانتْ جدته لأبيه السلطانة صفية (ت 1013هـ/1604م)، ووالدته السلطانة خاندان (ت 1013هـ/1604م)، وزوجته كوسم خانم (ت 1014هـ/1605م)، وكَانَ شيخُهُ عزيزخدائي متصوفاً كبيراً (ت1038هـ/1628م)، وشيخاً للطريقة الجلونية إحدى فروع الطريقة البايرمية[2]، أمّا رئيسُ أساتذته فهو حاجي سلطاني آيدنلي مصطفى أفندي (ت1016هـ/ 1607م)، وهو والد شيخ الإسْلام سعود أفندي (ت1067هـ/1656م)[3].

صفاته:

كانَ معتدلاً في ذوقهِ وجلساتهِ، متديناً جداً، لا يشرب الخمر، بسيطاً في ملبسه ومأكله، مولوياً كأجداده شاعراً في اللغتين الفارسيّةِ والعُثْمَانِيّةِ، مصارعاً، بارعاً، فارساً ورامياً، يستعملُ سلاحَهُ بمهارة]، وكانَ يرمي الشَشبرَ(آلة مرتبة مِنْ ستة رؤوس) مِنْ برجٍ علوه (30 متراً)،

1. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص444-445.
2. هما طريقتان من أصل سبعين طريقة صوفية انتشرتا في الدولة العثمانية، راجع: إحسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج 2، ص 320-450.
3. Nuri Pasa, Netayic Ulvukuaat, Vol. 1/p. 19-210.

فأصاب لمسافة (500م)، وشُيدَ في مكان سقوط الششبر مسلة نشان طاش، وهو نصب تذكاري حجري؛ ليكونَ ذكرى أبديةً لهذه الرمية القياسيّة[1].

ثانيا: الأحوال الدَّاخِلِيِّة

1- الصدارة العُظْمَى

أبقى السلطانُ أحمد، الصدر الأعظم وقائد الجيش العُثْمَانِيّ الأخير لوالده مالقوج أوغلو يادوزعلي باشا، صدراً أعظماً حتى وفاته في بلغراد (عاصمة صربيا الآن) في (2-2-1015هـ/ 21-6-1606م)، فكانتْ مدةُ صدارته سنةَ وعشرة أشهر وستة وعشرين يوماً، خلفهُ في الصدارة وقيادة الجيش صقو للو زاده لاله محمد باشا لمدة تسعة أشهر وأحد عشر يوماً، قضاها في إستانبول وبلغراد[2].

ثم عُينَ السلطان درويش محمد باشا صدراً أعظماً، وولّى فرهادُ باشا قائداً للجيش على الجبهة الإيرانيّةِ، ولكنّ درويشٌ باشا أُعدمَ بسبب[3] هزيمته في الحرب، فحل مكانه قويوجو Koyucu مراد باشا (معناها حفاري الآبار، ومسؤولي آبار)، وكان صدراً أعظماً، يتمتعُ بشخصيةٍ قويةٍ في عهد والده، واستمرَ في الصدارةِ مدة أربع سنوات سبعة وعشرين يوماً (5-8-1611هـ/9-2-1606م)، وهي أطول صدارة مُنْذُ وفاة صقو للو باشا قبل سبعة وعشرين عاماً.

وكان مرادُ باشا صهراً لقاضي زاده علي باشا السابق الذكر، ويعود سبب تسميته بـ(Koyucu) نسبةً إلى سقوطِهِ في أحدِ الآبارِ عام (993هـ/ 1585م)، عندما كَانَ بيلربكي

---

1. M.C. Baysun, Ahmed I, IA, 1/p. 46-161. Rifaaat Osman, Adirne Saray, Ankara, 1989, P.28.

2. اوزوتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص454-456.
Uzancarsili,Osmanli Tarihi, Vol. 3/p. 235-236.

3. اوزوتونا، المرجع نفسه، ص 455.
Uzuncarsili,Ibid, p. 234.

(أمير أمراء يعني الوالي العُثْمَانِيّ)، وانتشلَهُ الصفويونَ مِنْ البئر، ثُمَّ لقب بقوجا Koca؛ نتيجةً لكبر سنه.

وكان مراد باشا قد تولى عدة مناصب بَيْنَ (968هـ/1560م) حتى وفاته في (1020هـ/1611م)، مِنْهَا: معاون بيلربكي اليمين (968هـ/1560م)، وسنجق بك مصر (973هـ/ 1565م)، وبيلربكي اليمين، وفرمان وديار بكر والروملي (984هـ/ 1576م)[1].

عُينَ السلطان داماد نصوح باشا في الصدارة، فاستمرَ(5-6-1020إلى-8-1020هـ/5-8-1611إلى 17-10-1614م) ثلاث سنواتٍ، وشهرين وثلاثة عشر يوماً، وكان معاوناً لمراد باشا في ديار بكر، لكنّهُ أُعدمَ بعد ترك ثروة عظيمة، فَعُينَ مكانه داماد قره إبراهيم باشا بَيْنَ (8-8-1012إلى11-11-1616هـ/ 17-10-1612 إلى 17-11-1616م) لمدة سنتان وشهر ويوم. ويوصف بأنّهُ رجلُ دولةٍ قديرٌ، لكنه عُزل بسبب عدم قدرته الاستيلاء على روان، وعقدَ صلحاً مَعَ إيران[2]. فعيّنَ مكانه خليل باشا، وفي عهد صدارته، افتتحُ جامع السلطان أحمد للصدارة، وحملة البحر الأبيض المتوسط (4-4-1023 إلى 10-10-1023هـ/ 13-5 إلى 28 تشرين الثَّانِي 1614م)، وبقي في الصدارةِ حتى (1027هـ/ 1618/1/18م) في عهدِ السلطان عثمان الثَّانِي[3].

---

1. أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 454.

Uzuncarsili, Ibid, P.235.

2. المرجع نفسه، ص454-455.

Uzuncarsili,Ibid, 236.

3. suzuncarsili,Trraih, Vol. 3/p. 235.

2- سياسة السلطان مَعَ الحريم

اتسمتْ سياستُهُ مَعَ الحريمِ بالعداء؛ إذ سعى مُنْذُ بداية عهده بشكل جاد إلى مسك زمام الأمور، فلمْ يتركْ لوزرائه الأمور على غاربها، وعمل كُلُّ ما في جهده لحماية مصالح الدولة، فقد تمكن مُنْذُ بداية عهده مِنْ تحجيمِ سلطاتِ جدتهِ (صفيه)، وتدخلِها في السياسةِ في عهدِ أبيهِ، وأخرجَها مِنْ طوب قابي سراي، ونفاها إلى السراي القديمِ، ولذلك توفيت بعد عدة أشهر مِنْ شدة الحزنِ بسبب نفيها، وعدم قدرتِها على التدخلِ في السياسة. كما حدث الأمر ذاته مَعَ والدته (خانداِن)، الَّتِي توفيت مقهورة، وهي في شبابها[1].

لكن، لمْ يخطرْ ببال السلطان أحمد أنَّ زوجتَهُ (كوسم جاه بيكر) ستكون أكثرَ النساءِ تدخلاً في السياسةِ في تاريخِ الدولةِ العُثْمَانِيّةِ، وتسببت في أكثر فترات التاريخ دموية، وهذا ما سنراه في الفصلينِ التاليينِ[2].

3- ثورات الجلاليين

على الرغم مِنْ إخمادِ ثورة الجلاليين (قزلباش)، لكنّ الدولةُ لمْ تستطعْ القضاءَ عليهم، وذلك لسببين؛ **الأول:** أن الجلاليينَ يمثلون القسمَ الأكبرَ مِنْ سكانِ الأناضول، **والثَّانِي:** أن السكبان (كلمة فارسية قديمة، وهي فرقة مِنْ الإنكشاريّة) والسيباهية وغيرهم مِنْ القوات العسكرية، غالبا ما كانتْ تشتركُ مَعَ هؤلاء في الثورةِ ضد السلطانِ والدولةِ حينما تنتهي مِنْ الحروبِ أو تقلَّ

1. Ahmad, Refik , Kadinlar Saltanati, Istanbul , 1934 bayeum," Kosem sultan" ID, Vol. 6/P. 915-923.

2. لمزيد من التفاصيل حول نفوذ الحريم السلطاني في شؤون الدولة العثمانية وأسبابه ينظر: الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية: دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 2010، ص 465- 492.

مواردها المالية، وفي مقدمتِها البقشيش، الَّذِي كَانَ يمنحهُ السلطان لهم وللإنكشارية عند تسلمه الحكم أو المناسبات الأخرى[1].

ويمكن وصفَ فترةِ السلطان أحمد وفترة والده مِنْ قبله واولاده مِنْ بعده (1004-1060هـ/ 1595-1650)، أنها مِنْ أكثرِ الفتراتِ التاريخيّةِ الَّتِي شهدت فوضى كبيرة؛ ففقدَ فيها الناسُ أمنَهم على أنفسِهم وأموالِهم، لأنّ زعماءَ الثوراتِ كانوا مِنْ السكبان[2] أو الأمراء والإقطاعيينَ والباشوات؛ كثورات قره يازجي وكلندر أوغلو[3] (مِنْ حكام الأناضول، وهم مِنْ قوى الجلاليين المتمردين على الدولة[4]).

وقد وصفتْ الدراساتُ العُثْمَانيّةُ حالاتِ النزوحِ الكبيرةَ لسكان القرى والجبال بالفرار الكبيرِ في عهد السلطان أحمد الأول (1016-1019هـ/1607-1610م)، وذلك بسبب الحروب الخارجيِّة الَّتِي واجهتها الدولة، والتنازلات الَّتِي قدمتها الدولة للإقطاعيينَ المتمردين؛ أمثال الجلالين في الأناضول (1014-1017هـ/ 1605-1608م)، والمعنيين بزعامة (فخر الدين المعني) في لبنان، وجان بولاد أوغلو في سوريا[5]؛ مما جعل القضاء على الثورات الدَّاخِلِيِّة يحتاج إلى فتراتٍ طويلةٍ في القرنينِ السابع عشر والثامن عشر.

4- تقييم الوضع الدَّاخِلِيِّ

فمع أن الوضعَ الدَّاخِلِيِّ في عهدِ السلطان أحمد لا يوصف بأنّهُ برَاقٌ، على الرغم من امتدادِ سيادة الدولة على أرضٍ شاسعةٍ، مِنْ حدود إيران شرقاً إلى البلقان غرباً، والبحر المتوسط

---

1. Ozkaya ,y, Osmnli Imparatourn lugund Dagli Isyanlari , Ankara,P.182-195.
2. إحسان أوغلو، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص 386-387.
3. Alamdar,A,Karayazici Ve kalendar oglu Isyanlari, TTD, Vol. 7.3/P. 131-170.
4. لمزيد من التفاصيل، ينظر: M .Sert oglu Osmanli lugati tarihi, p. 312.
5. Akaday,Turk Halkin.ve Delet Duzenlik kavgasi,Istanbul, 1978,p.79-96.

والخليج العربي، إلا إنَّ تحكمَ البرتغاليينَ في مضيق هرمز وشركة الهند الشرقية في الطرق التجارية قد قلل مِنْ واردات الخزينةِ العُثْمَانيّةِ مِنْ النقد؛ مما انعكس على تمردات الإنكشاريّة داخل الأناضول والولايات العَرَبِيَّة.

لكنْ يُحسبُ للسلطانِ أحمد استقرار الباب العالي والديوان السلطاني[1]، فشهدَ عصرُهُ ازدهارَ العمارةِ، ويشهد على ذَلِكَ مسجد السلطان أحمد أو الجامع الأزرق، كما أنّهُ انشأ أوقافاً كثيرةً على عددٍ مِنْ المؤسسات وخاصة الحرمين الشريفين، ويثبت قانون نامه، الَّذِي أصدرَهُ عام (1017هـ/ 1608م)، إجراءَ كثيرٍ مِنْ الإصلاحاتِ الإداريّةِ والاقتصاديّةِ في الدولةِ[2].

ثالثا: الأحوال الخارجيِّة

1- الحرب النمساويّة –العُثْمَانيّة

غادر الصدر الأعظم وقائد الجيش العُثْمَانِيّ مالقوج اوغلو علي باشا على رأس الجيش في (10محرم 1013هـ/3-6-1604م)، لكنه توفي فور وصوله بلغراد في (2صفر 1011هـ/26-7-4602م)، فاعتلى الوزارة صقوللو زاده لاله محمد باشا الصدارة وقيادة الجيش، فغادرَ بلغراد في (5 أب)، فوصل بودين في (25 أيلول)، وشرعَ في حصارها، رغم أنه لمْ يستطعْ فتحها بعد حصارٍ دام ثلاثين يوماً، فعادَ إلى إستانبول في(9 رمضان1013هـ/ 9شباط 1605م)، ثُمَّ عاد للتحركِ مِنْ جديد في (16 أيار)، وأعادَ حصار استرجون للمرة الثَّانية في (4 ربيع الثَّانِي 1014هـ/29 آب 1605م)، وبعد حصار شديد دام خمسة وثلاثين يوماً فتحَ المدينة في (3 تشرين الأول 1605م)، واسترجعَ مجموعةً مِنْ الأماكنِ، مثل: كفيشغراد، تبه ده

---

1. إحسان أوغلو، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص 465.

2. Baysun, “Ahmed I” IA, Vol. 1/P. 146-161.

لن، وجكر ده لن (بلاد الشيك حالياً). كما استعاد في العام نفسه سرخوس إبراهيم باشا (ابن أخ لاله محمد باشا) قلعة اويفار ،Oyvar (50 كم شمال غرب استرجون)[1].

واجتاح عشرون ألف مِنْ جنود الصاعقة تَحْتَ قيادته Akina على حدود النمسا وكلّ مِنْ Karinthia, Karniol,Stirya، ووصلَ الصدرُ الأعظم إلى أقصى الشمال الشرقي مَعَ المجر وصحراء راكوش في أوكرانيا[2].

مِنْ جهة أخرى ركعَ أميرُ آردل IstvanBocskay أمامَ الصدرِ الأعظم، وقبّل يده ثلاث مرات، فَمُنح لقب ملك، وألبس التاج في(7رجب 1014هـ/ 20 تشرين الثَّانِي 1605م)، وعادَ الصدرُ الأعظم إلى إستانبول في (16 أذار1606م)، بعد أنْ عَينَ الوزير ترياقي حسن باشا نائباً له في بلغراد، وقد توفي الصدر الأعظم قبل أن يشهدَ الصلحَ الآتي ذكره.

وطلبتْ النمسا الَّتِي اعترفت بالهزيمة الصلحَ، وأدركتْ الدولة العُثْمَانِيّة، الَّتِي تواجه ظروفا عسكرية كبيرة على الجبهة الإيرانيّة، ضرورةَ قبول الصلحِ، والتركيز للجبهة الشرقيّة[3].

وأدارَ قويوجو مراد باشا المفاضاتِ التمهيديةَ، وأكملَ أميرُ أمراء بودين قاضي زاده علي باشا المفاوضاتِ النهائيةَ الَّتِي استمرتْ اثنين وعشرين يوماً إلى عقد معاهدة Sitvatcrok (ستفاتورك) في (7رجب 1015هـ/ 11 تشرين الثَّانِي 1606م).

وأهم ما ورد في هَذِهِ المعاهدة ما يلي[4]:

- مدة المعاهدة 20 عاماً قابلة للتجديد.

---

1. Rifaaat Osman , adrne aray ,ankara1989,P.28.
2. H.Inalcik ," Military and fiscal Trans formation in the ottoman Empire 1600-1700, Istanbul 1980,P.283.
3. حسنين، إبراهيم محمد، سلاطين الدولة العثمانية، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، د.ط، 2014، ص 355.
4. N. Erim , Devletler ,Arasi huku ve siyasi tarih metinleri,Ankara 1953.P.216-230.

- تدفعُ النمسا إلى الدولةِ العُثْمَانِيّةِ تعويضاتِ قدرها (67000) سكة ذهبية.
- إلغاء الضريبة الَّتِي يسددها الإمبرطور للسلطان العُثْمَانِيّ.
- يقدمُ الإمبرطورُ هدايا عينيةً للسلطان العُثْمَانِيّ كُلّ ثلاث سنوات، وتُحدد قيمتها حينها.
- يعاملُ السلطانُ العُثْمَانِيُّ الإمبرطورَ معاملةَ لينٍ، وشفقةٍ كما يعاملُ الأبُ أبنائهِ.
- تثبيت الحدود على أساس الأراضي بَيْنَ الطرفين عند انتهاء الحرب وبداية المفاوضات.
- رفض مبادلة الأراضي بَيْنَ الطرفينِ.
- تعترفُ الدولةُ العُثْمَانيّةُ بلقب إمبرطور بدلاً عن ملك في الوثائقِ الرسميةِ.
- أما بالنسبة لإسبانيا فظلتْ شروطُ هَذِهِ المعاهدةِ مفتوحةً.

تقييم المعاهدة:

يرى المؤرخون أن اعتراف السلطان العُثْمَانِيّ بلقب إمبرطور، يعني الإمْبِرَاطُورِيَّة الرومانيّة المقدسة، بدلاً عن كونه إمبرطور النمسا، أي روما الغربية، لكنّ أحدُ البنودِ، الَّذِي اشترط معاملة السلطان للامبرطور كولدٍ له، يعني السيادة العليا للسلطان العُثْمَانِيّ (في روما امبرطوران– لأحدهما شأن على الأمر).

ومع أنّ إلغاء الضريبة السنويّة، واستبدالها بهدايا عينية كُلّ ثلاث سنوات قد رفع مِنْ شأن الإمبرطور الألماني، إلا إنَّ هَذِهِ الإجراءاتِ كانتْ مرهونةً بموافقة السلطان العُثْمَانِيّ.

ومع أنّ المعاهدةَ أبقتْ شروط الصلح مفتوحةً مَعَ إسبانيا، إلا إنَّ إجراءاتِ فليب الثالث بموجب المرسوم الصادر في (جمادى الآخرة1018هـ/ أيلول عام 1609م)، بترحيل المسلمين مِنْ الأندلس والمجازر الجماعية، الَّتِي استمرت حتى(ربيع الثَّانِي 1019هـ/ تموز 1610م)، قد حالتْ دون إجراء أي صلح مَعَ إسبانيا.

واستمرتْ هَذِهِ المعاهدةُ، الَّتِي وضعتْ حداً للحرب (13 سنة و 4 أشهر و 8 أيام) (56 سنة و5 أشهر ويوماً) حينما أعلنتْ الدولةُ العُثْمَانِيّة الحرب على النمسا في عهدِ السلطان محمد الرَّابِع (1048-1074هـ/1648- 1663م) [1].

2- الحرب الإيرانية (الشيعة الصفوية)- العُثْمَانِيّة (1012-1027هـ/ 1603-1618م)

بدأ الشاه عباس الكبير، فور توليه العرش عام 999هـ/1590م، بتطبيق سياسة استرداد ما سيطرتْ عليه الدولةُ العُثْمَانِيّةُ بالقوةِ بعد معاهدةِ إستانبول الأولى في(5جمادى الأول998هـ/ 21أذار 1590م)، الَّتِي اضطرتْ فيها الدولةُ العُثْمَانِيّةُ إلى التنازلِ عن البلدانِ، والأقاليمِ، والقلاعِ، والحصون لصالح الدولة الصفوية[2]، والَّتِي استمرت ثلاث عشرة سنة، وسته أشهر، وستة أيام[3].

وهجمَ الصفويونَ في الأيامِ الأخيرةِ لحكمِ السلطان محمد الثالث في(4ربيع الثَّانِي 1012هـ/ 26 أيلول 1603م، على تبريز، بعد مشاوراتٍ ومراسلاتٍ دبلوماسيةٍ طويلةٍ مَعَ البابا وملك إسبانيا والإمبراطور النمساويّ، بحكم علاقة الحرب المستمرة بَيْنَ هَذِهِ الدول مَعَ الدولةِ العُثْمَانِيّةِ، كما طالبَ الاتحاد مَعَ دول مستبعد دخولها الحرب مَعَ الْعُثْمَانِيِّينَ، وهي: فرنسا، روسيا، إنجلترا، أسكتلندا، بولونيا، وهولندا. وعلى الرغم من العداءِ بَيْنَ الصفويينَ والمغول في الهند حاولَ الشاه عباس الكبير فتحَ قنوات اتصالٍ معهم[4].

---

1. N. Erim , Devletler ,Arasi,p.231..Muahadet Umumiye Macmuasi,(I-V) Istanbul, 1294-1298 , Vol. 2/P. 76-90.

2. حسنين، إبراهيم محمد، سلاطين الدولة العثمانية، ص 357.

3. Bkutukoglu osmanli – Iran siyasi Munasabetteri 1578-1612,Istanbul 1993,P.194-200.

4. Ibid, p.201-202.

وأقسمَ الشاه العباس الكبير على الانتقامِ مِنْ الْعُثْمَانِيِّينَ؛ لقناعته بأنَّ معاهدةَ إستانبول كانت هدراً لكرامتِهِ، وأنّ اعترافَهُ بشرعية السلطان العُثْمَانِيّ العليا خطأٌ كبيرٌ يجب تصحيحه، فشنَّ هجوماً مفاجأً على تبريز، استمر اثنين وعشرين يوما، أنهى فيها الوجود العُثْمَانِيّ الثَّانِي مُنْذُ (18 سنة و 28 يوم)، كما سيطرَ على القسمِ الأكبرِ مِنْ أذربيجان الجنوبيةٍ، التابعة لولاية تبريز العُثْمَانِيّة، واستمر في زحفهِ إلى شمال الآراس، واستولى على ناهجوان في (5جمادى الأول 1012هـ/ 26 تشرين الأول 1603م)، بعد حصارٍ شديدٍ دام (6 أشهر و 23 يوم)، ومدَّ نفوذه إلى ولاية روان العُثْمَانِيّة في (8 حزيران 1604م) (أرمينيا الروسية)[1].

وتحرك الصدر الأعظم جغال أوغلو بصفته القائد الأعلى للجيش العُثْمَانِيّ على الجبهةِ الإيرانيّةِ في (1محرم 1013هـ/ 15 حزيران 1604م)، لكنّه لمْ يتمكنْ مِنْ اجتيازِ قارص، فتوقفتْ الحملةُ حتى تاريخ (8 تشرين الثَّانِي) مِنْ العام نفسه[2].

وحاولّ الصدرُ الأعظم في شهر آب الإغارة على تبريز أملاً في استعادة أذربيجان، لكنّهُ هُزم أمام الجيش الصفويِّ التركمانيِّ الَّذِي قُدَّر عددُه خمسين ألف جنديٍّ في معركة أورميه الكُبْرَى بقيادة الشاه عباس الكبير نفسه[3].

وانسحبَ الصدرُ الأعظم إلى ديار بكر، وتوفي فيها في (4ربيع الثَّانِي 1014هـ/9 أيلول 1605م) متأثراً بجراحه، الَّتِي أصيب بها في المعركة، وفي الوقت الَّذِي عُينَ فيه السلطان أحمد الأول الوزير دلي فرهاد، قائداً أعلى للجيشِ بادئاً تحركه في (2صفر 1015هـ/ 25 حزيران 1606م)، استغلَ الصفويونَ هَذِهِ الظروفَ، واستولوا على كنجة في (2صفر 1015هـ/

---

1. p.Allen , problems of Yurcish power in the seventeenth century.londan1963,p.34-37.
2. Ibid,p. 40.
3. Ibid,p.42.

6 تموز 1606م)، وشماه في (3ربيع الأول 1016هـ/ 27 حزيران 1607م)، واجتاز نهرَ كور، واستولى على القسمِ الأكبرِ مِنْ شيروان، الَّتِي وقفَ الصفويون عند حدودِها[1].

وبسبب هَذِهِ المستجدات، عينَ السلطان الصدر الأعظم قويوجو مراد باشا قائداً أعلى للجيشِ على هَذِهِ الجبهةِ بين (2صفر 1019-5جمادى الأول 1020هـ/ 29 نيسان 1610/ 5 آب 1611م)[2].

ودخلتْ العلاقاتُ بَيْنَ الطرفينِ حالةَ التأرجحِ بَيْنَ الحرب والسلم، ففي الوقت الَّذِي طلبَ فيه الشاه عباس الكبير تجديدَ معاهدة أماسيا، الَّتِي عُقدت زمن القانوني (7رجب 962هـ/ 29 أيار 1555م) (يلماز 347/1)، وأرسلَ السفراءَ الَّذِينَ قابلهم الصدر الأعظم في ارخروم- محملين بالهدايا للسلطان العُثْمَانِيّ، إلا إنّ الصدر الأعظم قويوجو باشا سارَ إلى تبريز الموجود فيها الشاه الصفويّ، وبعد خمسةِ أيام بلياليها مِنْ القتال خارج تبريز عجز أيُ مِنْ الطرفين مِنْ إحراز النصر[3].

وبعد المعركة كررَ الشاه الصفويّ الصلحَ في (8شعبان 1019هـ/16 تشرين الثَّانِي 1610م)، عن طريق الصدر الأعظم الَّذِي انسحب إلى عامد في ديار بكر لقضاء الشتاء فيها، لكنّهُ توفي في (5جمادى الأول 10120هـ/ 5 آب 1611م)، فعينَ السلطان أحمد الأول مكانه الوزيرَ نصوح باشا صدراً أعظماً وقائداً عاماً للجيش العُثْمَانِيّ، الَّذِي عاد مِنْ الجبهة في (8 شعبان 1021هـ/ 27 أيلول 1612م) إلى إستانبول؛ لتوقيع معاهدة ثانية مَعَ الصفويين، وتم ذَلِكَ بالفعل في (9 رمضان 1021هـ/ 20 تشرين الثَّانِي1612م)[4].

---

1. Ibid,p.204-205.
2. Ibid,p.97.
3. Kutukoglu,Osmanli-Iran,P. 224.
4. Muahadat Umumiye Mucmuasi, Vol. 2/P. 146-148.

وقد أنهتْ معاهدةُ إستانبول الثَّانِية حرباً، دامت (9 سنوات وشهراً و24 يوماً)، وكان مِنْ أهم بنودها[1]:

1- العودة إلى الحدود المتفق عليها في معاهدة أماسيا (تختلف قليلاً عن الحدود العراقيّة – الإيرانيّة).

2- أعادتْ الدولةُ العُثْمَانِيّةِ إلى الصفويين (400.000 كيلو متر مربع) مِنْ أصل (570.000)، كَانَ العُثْمَانِيّونَ استولوا عليها قبل ربع قرن.

3- انتقلتْ المناطقُ المحيطةُ ببحيرتي أورميه وكوكجه شرقَ نهر أراس وكور، أي مناطق روان، نهجوان، قره باغ (عران)، شيروان (أذربيجان الشمالية و الجنوبية)

4- بقي القسمُ الأكبرُ مِنْ كرجستان، داغستان، ققفاسيا الشمالية تَحْتَ السيادةِ العُثْمَانِيّةِ.

لكن هَذِهِ المعاهدة لمْ تستمرْ سوى سنتين، وستة أشهر وثلاثة أيام؛ إذ أعلنتْ الدولةُ العُثْمَانِيّةُ الحربَ على إيران.

وتحركَ الصدرُ الأعظم القائد الأعلى للجيش العُثْمَانِيّ دامادأوكوز قره محمد باشاDamadOkuzkara Mehmet Pasa مِنْ إستانبول في (5جمادى الأول 1024هـ/ 11 حزيران 1615م) [2].

وحطَّ في حلب في شهر أيلول، وبعد سبعة أشهر مِنْ التمركزِ في حلب، واصل تحركه على رأس جيش بلغَ مئة ألف جنديٍّ، وحاصرَ روان في (8شغبان 1025هـ/ 11 أيلول 1616م)، لكنّهُ فشلَ في الاستيلاءِ عليها بعد حصار دام أربعة وخمسين يوما؛ ولأنّ الظروفَ لمْ تسمحْ للشاه عباس الموجود في نهجوان على بعد (115 كم) جنوب شرق روان؛ انسحبَ الجيشُ

1. Uzuncarsili , Osmanli Tatihi, Vol. 3/P. 94-96.

2. Uzuncarsili , Osmanli Tatihi, Vol. 2/P. 102-103.

العُثْمَانِيُ بقيادة الصدر الأعظم القائد الأعلى الجديد خليل باشا، وقضى الشتاءَ عام (1026-1027هـ/ 1617-1618م) في ديار بكر[1].

وجدد الصدر الأعظم خليل باشا تحركه في (5جمادى الأول 1027هـ/ 1618/5/16م)، بعد أن انضم إليه خان القرم جاني بك كيراي وتحت إمرته 40.000 خيّال مِنْ القفقاس، وولايات كنجه ونهجوان. وفي هَذِهِ المعركة بَيْنَ الْعُثْمَانِيِّينَ والصفويين وقع قالغاي (ولي عهد القرم) شاهين كيراي -الذي كَانَ على رأس مقدمة الجيش - في الأسر، لكن الشاه عباس الكبير أطلق سراحه دليلاً على رغبته في الصلح[2].

وعلى الرغم من أنّ الجيشَ العُثْمَانِيَّ قد دخلَ أذربيجان الجنوبيّة، ووصلَ إلى مدينة اردبيل "المدينة المقدسة للصفويين"، إلا إنّ الجيشَ العُثْمَانِيّ خسرَ في هَذِهِ المعركة، الَّتِي عرفت بـ(بول شكسته) (قيرتي كوبرو) بتاريخ (9رمضان 1027هـ/ 10 أيلول 1618م) ما يقارب مِنْ (15000) جنديّ بَيْنَ شهيدٍ وجريحٍ وأسيرٍ، مِنِ الشهداء ثلاثة برتبة أمير أمراء (فريق)، واثنان وقعا في الأسر.

ولأنّ المعركةَ لمْ تكن في صالح الْعُثْمَانِيِّينَ، اضطروا على الصلحِ، الَّذِي عرضه الشاه الصفويّ، ووُقَعتْ على أسوار المدينة معاهدةُ اردبيلفي (26 أيلول)، وأهم بنودها[3]:

1- خفضتْ أحمال الحرير، الَّتِي كانتْ تدفعها إيران كخراج سنوي إلى الدولة العُثْمَانيّة، بموجب معاهدة إستانبول مِنْ 200 إلى 100.

---

1. Roemer,The SafavidPperiod Abas I "the Cambridge History of Iran", Cambridge 1986, Vol.v,p.262-278.
2. Ibid, p. 280-282.
3. Muhadat umumiye, Vol. 2/p. 150-156.

2- استمرتْ هَذِهِ المعاهدةُ خمس سنواتٍ؛ إذ استولى الصفويونَ على بغداد عام (1033هـ/ 1623م)، ففتحتْ الحربُ الإيرانيّة – العُثْمَانِيّة فصلاً موسعاً، لم يشهد مثيلا مِنْ قبل.

3- حملة البحر الأبيض المتوسط (4 ربيع الثَّانِي-10شوال 1023هـ/13 أيار -28 تشرين الثَّانِي 1614)

خلال 118 عاماً بعد سقوط الأندلس عام (898هـ/ 1492م)، لم يبق في إسبانيا والبرتغال مسلم واحد، وكانت طائفةٌ منهم قد تنصروا لكنهم بقوا مسلمين سراً يؤدون الصلاة في بيوتهم مَعَ أنهم يذهبون إلى الكنائس يوم الأحد.

وقد لعبتْ هَذِهِ الطائفةُ دوراً مهماً في تقديم مَعْلُومات عسكريّة عن الأسطول الإسباني وموانئه بواسطة رسائل سريّة إلى أمير أمراء الجزائر.

وأرسلِ الباب العالي العُثْمَانِيّ عام (1019هـ/ 1610م)، الحاج ابراهيم أغا سفيراً فوق العادة إلى لندن بهدف جمع الأندلسيين، الَّذِينَ لم يتمكنوا مِنْ العبور إلى شمال أفريقيا، وتشتتوا في دول أوروبا الغربية مِنْ نقلهم إلى أراضي الدولة العُثْمَانِيّة؛ لتخليصهم أولاً مِنْ عبودية الأوروبيين، وثانياً كونهم مسلمينَ ضمن مسؤولية الخليفة العُثْمَانِيّ .

ومن جهة أخرى فإنَّ سلطانَ فارس مولاي زيدان وخلفاؤه استمروا في تبعيتهم للخلفاء الْعُثْمَانِيِّينَ الَّذِينَ كانوا يقدمونَ المعونةَ السنويةَ لسلاطين المغرب[1].

وفي المقابل أيضا، فإنَّ قائدَ البحرية العُثْمَانِيّة (قبودان دويا) الصدر الأعظم داماد خليل باشا، قد قضى على أسطولِ مالطا عام (1018هـ/ 1609م)، حينما كَانَ آنذاك برتبة سنجق بك (أمير لواء)، لكنَّ حالةُ الحرب بقيت مستمرةً مَعَ مالطة البابوية وإسبانيا، ولعبتْ ولايةُ تونس

1. Augest Ccour, Osmanli Devleti ve Fas Siyasi Eliskileri, istanlul, 1958,P.149-165.

والجزائر وطرابلس والمغرب، الَّتِي تمتلك قطعاً بحريةً دوراً مهماً في مقاومة الوجود الأوروبيّ في غرب البحر المتوسط[1].

وقد قادَ الصدر الأعظم البالغ مِنْ العمر (80 عاماً) الأسطولَ العُثْمَانِيَّ بينَ (4ربيع الثَّانِي–10شوال1023هـ/ 13 أيار –28– تشرين الثَّانِي 1614م)، ولأنّ سفردابي وكيل والي طرابلس قد ماطل في تنفيذ الأوامرِ الموكلةِ إليه، فأنزلَ خليل باشا الجنود إلى مالطا بواسطة (45 سفينة)، ثُمَّ خرّبَها حتى لا يستخدمها الآخرونَ، ثُمَّ قدمَ إلى طرابلس الغرب، وأعدمَ سفردابي أمامَ دارِهِ؛ بسبب ظلمه الشديد للسكان، ونظّمّ شؤونَ سكان ولايات أخرى؛ كأدرنه، وطرابلس، والشام، وطرسوس[2]، ومنطقة علاطة في إستانبول؛ لذا يوصف عهدُه – بشكلٍ عام – بفترة جيدة في التاريخ العُثْمَانِيّ قياساً بما سيأتي.

1. Augest,Ibid, P.180-195.
2. Boa,Muhimme Defteri,lxxvIIIp,P.44.

الفصل الثالث

الأحوال السياسية في عهد السلطانين مصطفى الأول وعثمان الثّانِي

(1026-1033هـ/1617-1623م).

أولاً: شخصية السلطان مصطفى الأول وسلطنته الأولى

ثانيا: الوضع السياسي في عهد السلطان عثمان الثَّانِي

1- شخصيته واعتلاء عرش السلطة (1027هـ/1618م)

2- الأحوال الدَّاخِلِيّة في عهده

3- جهوده في إصلاح الإنكشاريّة

4- مقتله على يد الثوار الإنكشاريّين

ثالثا: إعادة السلطان مصطفى الأول إلى الحكم (السلطة الثَّانِية)

1- الأحوال الدَّاخِلِيّة في عهده

2- تقييم سلطنته الثَّانِية

أولا: شخصية السلطان مصطفى الأول، وسلطنته الأولى (ذي الحجة 1026- ربيع الثَّانِي1027هـ/ كانون الأول 1617- شباط 1618م)

هو السلطان الخامس عشر مِنْ سلاطين بني عثمان الابن الاصغر للسلطان محمد الثالث[1]، ولدَ في مانيسا سنة 1001هـ /1592م، ولي عهد أخيه أحمد الأول لمدة عشر أشهرٍ بين (7رجب1012- 6جمادى الآخر1013هـ/ 21 كانون الأول 1603-3 تشرين الثَّانِي 1604م)، وُصفَ بأنّه مريضٌ، تشوبه نوباتٌ مِنْ الجنونِ، بسبب خوفه المتواصل مِنْ القتل، قضى حياته في غرف القصر العُثْمَانِيّ بَيْنَ العبيد والحريم، فلم يتسلم أيا مِنْ الشؤون الإدارية أو العسكرية.

وجلس على عرش السلطنة وعمره (25 عاماً)، وعدّ ذَلِكَ مخالفةً شرعيةً لجنونه، ومخالفةً للعرف؛ لأنّه لَيْسَ أكبرَ أولادِ السلطان أحمد.

لكنَّ السلطانةُ (كوسم) قد أنفقت جزءاً كبيراً مِنْ ثروتها رشاوى للمتنفذين في القصر والدولة؛ لمنع جلوس أيَ مِنْ ولي العهد عثمان أو الأمير محمد، واشتركتْ معها في هَذِهِ المؤامرةِ والدة السلطان مصطفى، الَّتِي كانت لتفعل أيّ شيءٍ؛ لحماية ابنها.

لكنَّ السلطانُ مصطفى خُلع بعد ثلاثة أشهرٍ وأربعة أيامٍ في (أول ربيع الأول 1027هـ/26 شباط 1618م)، وعُينَ مكانه السلطان عثمان الثَّانِي[2].

---

1. المحامي، فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 122.

2. Aktepe,m,"Mustafai"IA, 8/P. 690-695. Sertogln,Osmali Tarihtugati ,P.256.
أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص458.

.

ثانيا: الوضع السياسي في عهد السلطان عثمان الثَّانِي (1027 – 1032هـ/ 1618 – 1622م)

1- شخصيته وإعتلاء عرش السلطة (1027هـ/1618م)

ولد السلطان عثمان الثَّانِي في (5جمادى الأول1013هـ/ 13 تشرين الأول 1604م)، وأصبح مِنْ حينها ولي عهد والده. أمه السلطانة الوالدة (خديجة ماه فيروزه)، تزوجها السلطان في كانون الثَّانِي (1011هـ/ 1604م)، كَانَ متزوجاً مِنْ عائشة خاتون ابنة الوزير برتو باشا، ومن عقيلة خاتون ابنة شيخ الإِسْلام أسعد أفندي، وأنجب ولداً وبنتاً توفوا في المهد[1].

ووُصف عثمان الثَّانِي في طفولته وشبابه بأنّهُ يفوقُ طبع أبيه شدةً ونضجاً وكمالاً، وأخافَ الكثيرينَ في القصر منه، وفي مقدمتهم خاجكي سلطان كوسم، الَّتِي قامت بمؤامرةٍ أزاحته عن السلطنة وتولية عمه مصطفى الأول[2].

وقد أيقنَ عثمان الثَّانِي، الَّذِي كَانَ عمره (13 سنة وثلاثة أشهر و 24 يوماً) فور جلوسه على عرش السلطنة، مسالَّتِينِ مهمتينِ تحتاجان إلى سرعة المعالجة دون تأجيلٍ[3]، وهما:

1- أنّ جلوس عمه مصطفى على العرش كَانَ فيه مخالفة لكلِّ القوانينَ والأعراف، ويهدد نظام الدولة فيما بعد؛ لصغر سنه، وعدم أهليته في إدارة الدولة.

2- حاجة الدولة إلى الإصلاحاتِ الجذريةِ، وإعادة صياغة قوانين جديدة في جميع المجالات السياسيّةِ، والعَسْكَرِيَّةِ، والاقتصاديّةِ، والدَّاخِلِيِّةِ، والخارجيِّة.

---

1. Gokkaya ,Sultan Osman sehadcti, Atsiz Armagani,Istanbul, 1976,P.187-256.
أوزتونا، يلماز، الدولة العثمانية، مج1/ص459-460.
2. Muripusu,Netayic Ulvukuat, Vol.1/P. 214.
3. أوزتونا، يلماز، مرجع سابق، ص459-460.

2- الأحوال الدَّاخِلِيِّة في عهده

أمر السلطان عثمان بخنق أخيه ولي العهد محمد في (1محرم 1031هـ/ 12كانون الأول 1621م)، وهو الابن الثَّانِي للسلطان أحمد، وكان عمره (15 سنة و10 أشهر و5 أيام). وربما كانتْ هَذِهِ الحادثةُ النقطةَ السوداءَ في صفحة السلطان عثمان الثَّانِي، على الرغم من أنّها لَيْسَتِ الحادثةَ الأولى في التاريخ العُثْمَانِيّ.

لكنّ ولي العهد محمد المعروف بحسن التربية والنشأة راح ضحية انتقام السلطان عثمان الثَّانِي مِنْ السلطانة (كوسم)، والدة محمد، وعلى أيّ حال فإنّ هَذِهِ الحادثةَ قد بثتْ داخل القصر وخارجه روح الكراهية ضد السلطان عثمان. ويروى أنّ الشهزاده محمد أيقن أثناء خنقهِ أنّ أخيه عثمان وراء ذَلِكَ، فدعا عليه قائلاً: "اللهم أذقه نفس المصير"[1].

وانتقلتْ ولاية العهد إلى مراد، الَّذِي أصبح يطلق عليه السلطان مراد الرَّابِع كما سنرى في الفصل التالي.

وقد منحَ رئيس أساتذته أماسيالي عمر أفندي (963-1040هـ/ 1555-1630م) مرتبة المشيخة الَّتِي يحملها شيخ الإسْلام، وهو أول مِنْ منحتْ له هَذِهِ المرتبةُ مِنْ فئةِ العلماءِ الثلاثة، قبل أن يصيروا شيخاً للإسلام. ومِنْ أساتذته: عزيز أفندي، خدائي أفندي، وقره باشا عبد الرحمن أفندي، ومستشار الرئيس أغا دار السعادة مصطفى أغا، وقلّدَهُ السيفَ صهرُهُ، شيخ الإسْلام أسعد أفندي[2].

1. Gokkaya,Sultan Osman,P.187-256.

2. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ص459-460.

وعزلَ السلطان عثمان الثَّانِي الصدر الأعظم خليل باشا، الَّذِي استمرت صدارته سنتان وثلاثة أشهر ويومان، واعتلى الصدارة العُظْمَى مكانه دامادأوكوز قره محمد باشا (2صفر1028 –1محرم1029هـ/ 18 كانون الثَّانِي – 23 كانون الأول 1619).(ينظر صدارته في عهد أحمد الأول)، وتوالى تغيير الصدارة في عهده على الشكل التالي[1]:

- صداره كوزلجه جلبي علي باشا (1محرم1029 – 4ربيع الثَّانِي1030هـ/ 23 كانون الأول 1619– 9 أذار 1621م)، فدامتْ صدارته سنة وشهرين و17 يوم بسبب الوفاة.
- صدارة اوهريلي حسين باشا (10شوال1030هـ/ 7 أيلول 1621م)، استمرتْ صدارته ست أشهر و9 أيام، عُزل بسبب عدم مساعدته لمنافسه محمد باشا أمير أمراء بودين أثناء حصار خوتين وخيانته بالحركات العسكرية[2].
- صدارة ديلاور باشا Divlaver أمير أمراء ديار بكر، (7رجب1031– 10شوال1031هـ/ 7 ايلول 1621– 19 أيار 1622م)، استمرتْ صدارته ثمانية أشهر ويومين، ووُصفَ بعدم اللباقة، وقُتل على يد الإنكشاريّة.

ويبدو أنّ تعددَ الصداراتِ كَانَ سببهُ المؤامرات داخل القصر، وقلة تجربة السلطان عثمان الثَّانِي في انتقاء الأكفاء، وأنه لمْ يعدْ هناك شخصيات بارزة وكفوء في إدارة الدولة كما كَانَ في عهد أسلافِهِ[3].

وقد أمرَ السلطان عثمان الثَّانِي بتقليل صلاحياتِ شيخ الإسْلام، ونزع منه سلطة تعيين الموظفينَ وعزلهم، وجعلَ وظيفته مقتصرةً على الإفتاءِ؛ لاعتقاد السلطان أنَّ شيخَ الإسْلام أحدً

---

1. Uzunsarsili,Osmanli,Tarihi, Vol.3 /P. 335-336.
2. Uzuncarsili,Ibid,P.337.
3. Allindag,"Osman II" IA, Vol. 9/P. 443-448.

رجالِ القصر، الَّذِينَ كانوا سبباً في إبعاده عن السلطان، وكذلك عُزل سلفه السلطان مصطفى الأول، لذا أراد أن يأمنَ جانبه، وإبعاده عن التدخلِ في أمور القصر ودسائسه[1].

وفي (3ربيع الأول1030هـ/ 9شباط 1621م، حدثَ تجمد في البوغاز(مضيق البسفور)، فأصبحَ الناسُ يتنقلونَ بَيْنَ إستانبول والأسكرار (قارشي طرفTaraf) مشياً على الأقدام، إضافة إلى ارتفاعٍ شديدٍ في أسعارِ المواد الغذائيّةِ: فسبب هذا البرد غير الطبيعي تذمراً كبيراً لدى السكان، مما أضافَ عبئاً كبيراً على الأزمات الدَّاخِلِيِّة للسلطان عثمان الثَّانِي[2].

3- جهوده في إصلاح الإنكشاريّة

كان على رأس أولويات السلطان عثمان الثَّانِي في مشروعه الإصلاحي الشامل، إصلاح الإنكشاريّة وهو ما تعارف عليه في التاريخ العُثْمَانِيّ بالكارثة العُثْمَانِيّة الكُبْرَى بين (7-9رجب1031هـ/ 18-20 أيار 1622م).

وشرع السلطان عثمان الثَّانِي بتنفيذ هذا المشروع بجديةٍ تامةٍ، وقام بالخطوات التالية[3]:

1- أراد السلطان إلغاء تنظيم قبوقولو Kabilculu، التشكيل المركزي والأساسي للإنكشارية، واستبداله بتنظيمٍ عسكريٍّ جديدٍ، أو ربما الفكرة نفسها الَّتِي حاول القيام بها كُلّ مِنْ السلطان سليم الثالث (1204-1222هـ/1789- 1807م) فيما أطلق عليه الترتيب الجديد، وراحَ ضحيتها مِنْ قبل الإنكشاريّة هو وخلفه مصطفى الرَّابِع.

---

1. مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج1/ص351-354.
2. المرجع نفسه، ص 461-462.
3. Main,Tarih, Vol. 2/P. 236.

وكان الإصلاح الَّذِي نفَّذه السلطان محمود الثَّانِي بالقضاء على الإنكشاريّة عام (1242هـ / 1826م)، واستبداله بنظامٍ عسكريٍّ جديدٍ، أطلق عليه عساكر ومحمدية منصورة[1].

2- أرسلَ السلطان تعليماته بهذا الشأن إلى الولاة (أمير أمراء)، لكنّ تقليصُ صلاحيات العلماء، وفي مقدمتهم والد زوجته شيخ الإسْلام سعد أفندي (ابن شيخ الإسْلام خوجه سعد الدين أفندي وأخ شيخ الإسْلام محمد أفندي)، الَّذِي هو في الأصل صاحب فكرة الإصلاح مُنْذُ عام (1994هـ/1596م)، قد فجر خلافاً بَيْنَ العلماءِ أنفسِهم، فهذا عمر أفندي أستاذ السلطان عثمان قد لقَنَ السلطان فكرةَ الإصلاح كما يراها هو، دون استشارة شيخ الإسْلام سعد أفندي[2].

سارع السلطان عثمان الثَّانِي في تنفيذ خطته دون مراعاة لرأي أحد مِنْ العلماء أو أمراء الإنكشاريّة أو حتى السكان الَّذِينَ تربطهم بالعلماء علاقات قوية، ولهذا أصدر السلطان عثمان الثَّانِي قوانين الإصلاحات بَيْنَ يومٍ وليلةٍ، دون دراسة مسبقة مَعَ أن نجاح الإصلاحات يحتاج إلى صبرٍ وخبرةٍ وجهدٍ كبيرٍ، وربما أنَّ التركيزَ على إصلاح الإنكشاريّة على عجل هو ما أفشل كُلّ محاولات السَّلَاطِين قبل السلطان محمود الثَّانِي، الَّذِي بنى مشروع إصلاحه على توفير الخبرةِ، والمالِ، والجهدِ، والصبرِ، والظروفِ المناسبة، وأهمها: استقرار الجبهة الدَّاخِلِيَّة[3].

---

1. لمزيد من التفاصيل عن هَذِهِ الموضوعات، ينظر: الرويلي، ليلى، السلطان محمود الثاني وإصلاحاته 1808-1839، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك قسم التاريخ، 2012-2013م. الفصل الثالث ص 105-170.

2. Pecevi,Tarih,P.703-736.

3. Solak Zade,Tarih,P.703-736.

4- مقتل السلطان عثمان الثَّانِي

بقيت أوامر السلطان عثمان الثَّانِي حبراً على ورق؛ لرفض العلماء والإنكشاريّة معاً هَذِهِ الإجراءات[1]؛ لأنها مضرةٌ بمصالحهم المستمرة مُنْذُ عهد السلطان مراد الأول (763-792هـ/ 1361-1389) فانقلب الحال إلى كارثة أدت إلى مقتل السلطان عثمان الثَّانِي وإعادة السلطان مصطفى الأول إلى العرش[2].

وتروي المصادر العُثْمَانِيّة تفاصيل هَذِهِ الكارثة كما يلي:

"كَانَ لتحقير السلطان لقادة القبوقولو خاصة والمؤسسة العَسْكَرِيَّة عامة، أثرٌ كبيرٌ في نفاذ صبرهم، وخاصة حينما أعلن السلطان عثمان عزمه على مغادرة إستانبول قاصدا الحجاز لأداء فريضة الحج، وعلى الرغم من المحاولات الكبيرة لإثناء السلطان عن هَذِهِ الفكرة لاعتقادهم أن هناك أمرا يدبر لهم، إذ إن أيّاً مِنْ السَّلَاطِين الْعُثْمَانِيِّينَ لم يقم بأداء الحج سابقاً"[3].

فأعلنت القبوقولو العصيان والتمرد في نفس الساعة الَّتِي نصب فيها السلطان خيمته (سرادق) في أطراف اسكرار صباح 8 أيار إيذانا ببدء مسير قافلة الحج، وجاء عصيان القبوقولو بناءً على الفتوى الَّتِي أصدرها شيخ الإِسْلام أسعد أفندي "لا لزوم لحج السَّلَاطِين، البقاء في مكانهم والعدل أولى لهم، حتى لا تكون هناك فتنة"[4].

يفهم مِنْ هَذِهِ الفتوى، بأنّ ابتعادِ السلطان عن أمور الدولة مدةً طويلةً سببٌ في الخراب، وأنّ خدمةَ الدولة والشعب عبادةٌ تفوقُ فريضةَ الحج.

---

1. العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 105.

2. Hammer,Osmanli Devlefi Tarhi, 8/P. 284-376. I.Danisnend,Osmanli Tarihi, Vol. 3/P. 324.

3. Solak Zade,Tarih,p.735-736. Hammer,Tarih,p.374-376.

4. Mzunacimpasi, Vol. 3/P.650-657..

يتضح هنا أثرُ العلماء على الإنكشاريّة مُنْذُ نشأتها، ويثبت التاريخ العُثْمَانِيّ أن كُلّ محاولات الإصلاحات الَّتِي لم تحظَ بتأييد العلماء قد فشلت، وأنّ سببَ نجاح التنظيمات العُثْمَانيّة مُنْذُ عهد محمود الثَّانِي كانتْ بسبب القضاء على سلطة العلماء الإداريّةِ والسياسيّةِ، وحصرها في الأمور الشرعيّة(1).

وبدأتْ الإنكشاريّةُ عصيانَها في ساحة السلطان أحمد بعد قرار زعماءهم والعلماء في جامع السليمانية بعد أقل مِنْ ساعتين مِنْ نصب خيام الحج السلطانية، وحملوا فتوى شيخ الإسْلام في أيديهم مطالبين السلطان عثمان الموجود في قصر طبقبوسراي على مقربة مِنْ ميدان السلطان أحمد، بالعدول عن قراره بالحج، لكنّ السلطان عثمان مزّقَ الفتوى، وألقاها في وجوههم، وأصرّ على تنفيذ قراره(2).

وكان قد تسرَبَ إلى الإنكشاريّة أن السلطان عثمان اتخذ مِنْ بورصة عاصمة مؤقتة، وأنه سيحاول جمع الجند مِنْ كُلّ الولايات –بناءً على الأوامر الَّتِي أرسلها إلى الولاة والأسطول، وأنه سيقضي على الإنكشاريّة، ويلغي تنظيمهم(3).

اشتدَ الوضعُ تأزماً مساء يوم (18 أيار)، وعلى الرغم من تراجع السلطان عن قراره بمغادرة إستانبول، إلا إنّ الثوارَ تقدموا بطلباتٍ جديدةٍ، مَعَ قناعتهم أنّهُ سيُبطشُ بهم مَعَ أولِ فرصةٍ، فزادتْ الأعصابُ توتراً.

وصلّى الثوارُ صلاة الصبح جماعة في جامع الفاتح، وهدّدتْ الإنكشاريّةُ العلماءَ وأصنافَ الإنكشاريّة الَّتِي لا تساندهم بالموت، واجتمعوا في ساحة السلطان أحمد، وطالبوا

---

1. Uzuncarsili,Osmanli Tarihi, Vol. 3/p. 221-225.
2. Madam De Gomez,OsmanliTarihi,(Terc.M.Ata)Astanbul, 1954, Vol. 1/p. 331-332.
3. Lorga,The Classic history of Ottoman,Ankard, 1943, Vol. 3/p. 448-450.

السلطان عثمان الثَّانِي ستة مِنْ رجال القصر، وفي مقدمتهم أستاذ السلطان عمر أفندي الرجل الثَّانِي بعد شيخ الإسْلام، وصاحب فكرة الإصلاح، فرفضَ السلطان طلبَهم، وهددَ الثوار علناً[1].

وكانت كُلّ مِنْ والدة السلطان مصطفى وكوسم والدة السلطان والدة ولي العهد مراد قد أغدقتا الرشاوى على كثير مِنْ رجال القصر، فترك الخونةُ باب القصر مفتوحاً أمام الثوار دون أيّ حراسة، فدخل الثوار ساحة القصر وتجَعوا في الرواق الأول، ولم يخطرْ ببال السلطان عثمان حتى هَذِهِ اللحظة نية الثوار بإعادة عمه مصطفى إلى العرش، أو إجلاس أخيه مراد الَّذِي لم يكمل العاشرة مِنْ عمره بعد؛ لذا أبقى على حياتهما ولم يؤذيهما بشيء[2].

وبينما خاف العلماءُ مِنْ تطور الثورة، وقناعتهم بأنها غير منطقية، لم يطالبوا بخلع السلطان عثمان الثَّانِي، لاعتقادهم أن الهدف هو تخليه عن فكرة الإصلاح، وإلغاء الإجراءات الَّتِي قام بها، وأن إعادة السلطان مصطفى إلى العرش ثانياً، أو إجلاس ولي العهد مراد بحد ذاته إجراءٌ مخالفٌ للشرع والعرف العُثْمَانِيّ. لكنْ يبدو أنّ العلماء كانوا في واد والإنكشاريّة في واد آخر[3].

من المحتمل أنَّ هدفَ الإنكشاريّة مِنْ خلع السلطان عثمان الثَّانِي كَانَ نتيجة لإغراءات قدمتها والدةُ السلطان مصطفى وأخته زوجة الوزير داود باشا، بالحصول على إكرامية الجلوس إذا ما أُعيد إلى العرش، ويبدو أن كوسم وعدت الشيء نفسه إذا ما جلس ابنها على عرش السلطنة؛ لهذا فإنّ الإنكشاريّة طمعت في الإكراميتين في آن واحد[4].

---

1. Lorga,Ibid, p.452.
2. Madame do Gomez,P.333.
3. Naima,Tarih, Vol. 2/p. 242.
4. Danismand,Osmanli Tarih, Vol. 3/p. 325.

واضطر العلماءُ تَحْتَ ظلّ سيوف الإنكشاريّة إلى مبايعة السلطان مصطفى ظهر (7رجب1031هـ/ 19 أيار 1622م)، (أول مرة مُنْذُ جلوس الفاتح يجري تنصيب سلطان سبق له الجلوس على العرش، ولم يتكرر بعد) وبين ليلة وضحاها قُتل الصدر الأعظم دلوار باشا، الَّذِي لم يتخذْ أيّ تدبير ضد الثورة، وعينَ أوهريلي حسين باشا للمرة الثَّانِية، وقُتل في اليوم التالي[1].

وأمام هَذِهِ الأحداث فرَّ السلطانُ عثمان الثَّانِي متجهاً إلى بورصة للمقاومة، لكنّ الثوارُ قطعوا عليه الطريق، فلجأ إلى جناح أغا الإنكشاريّة في مقره في السليمانيّة، وقضى ليلته هناك[2].

وخاطب السلطان عثمان الثَّانِي صبيحة (20 أيار) المتمردينَ الإنكشاريّينَ، لكنّهُ جُوبه بالاستنكار مرات عدة، ويبدو أنّ الصدرَ الأعظم الجديد داماد قره مصطفى باشا، زوج أخت السلطان مصطفى، قد تلقى أمراً مِنْ حماته بالقضاء على السلطان عثمان الثَّانِي.

وعلى الرغم من النقاش الحاد بَيْنَ قادة الإنكشاريّة بَيْنَ مؤيد ومعارض لقتل السلطان، إلا إنّ الثوارَ خطفوا عثمان الثَّانِي مِنْ أورطه جامع OrtaCamii في السليمانيَة إلى يدي كوله YudiKule، ويُروى أنّهم لمْ يتركوا إهانة مِنْ سبٍ وشتمٍ لم يشهد لها في تاريخ الدولة العُثْمَانيّة إلا كالوها له[3]، وعلى الرغم من أنّ السلطانَ عثمان كَانَ أعزلاً، إلا أنه استطاعَ قتل ثلاثة مِنْ الجلادين العشرة الَّذِينَ حملوه، ولكن الكثرة غلبت الشجاعة فخنق بخيط مِنْ حرير مساء يوم

1. Allindag,Osman II, IA, Vol. 9/p. 443-448.

2. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص462-464.

3. Naima,Tarih, Vol. 3/p. 182-187.

(10رجب1031هـ/ 22 أيار 1622م)، بحضور داود باشا وكيخيا عمر باشا وقلندرأوغلو[1]، وأطلق عليه لقب الشاب الشهيد عثمان ودفن بجوار والده بمقبرة السلطان أحمد[2].

ثالثا: إعادة السلطان مصطفى الأول إلى الحكم (7 رجب 1031- 11 ذي القعدة 1032هـ/ 19 أيار 1622-10 أيلول 1623م) (السلطنة الثَّانِية)

1- الأحوال الدَّاخِلِيِّة في عهده

حصلتْ الإنكشاريّة بجلوس السلطان مصطفى على ما أرادت، ففي اليوم الَّذِي قتل فيه عثمان الثَّانِي نالت قبوقولو إكرامية الجلوس البالغة مليون ونصف سبيكة ذهبية، وأصبحتْ والدة السلطان نائبة السلطان الفعلي[3].

وفور اعتلاء داود باشا الصدارة العُظْمَى، قام بنهب قصر طبقبو، وسرق السيوف والخيول وكل خاصة السلطان عثمان الثَّانِي الأثرية[4].

ويصف المؤرخون أن الدولة انتقلت إلى أيدي أشخاص لا يشعرون بالمسؤولية، وإنما يفكرون في قضاء يومهم فقط. وفي مقدمتهم الصدر الأعظم داود باشا، الَّذِي يوصف بأنه أحد أضعف الشخصيات الَّتِي شهدها التاريخ العُثْمَانِيّ[5]؛ إذ عيّنَ أحد أغاوات الديوان السلطاني، ووعده برتبة الوزارة ولاية مصر، إن استطاعَ قتلَ ولي العهد الأمير مراد، وبينما كَانَ الأغا يشهر سيفة على رقبة ولي العهد رماهُ أحدُ حراسه بالششبر (كرة ذات ست رؤوس)، فأصابه في رأسه،

---

1. Naima,Ibid,3/p. 182-187. Allindag,Osman II,IA, Vol. 9/p. 446-448

2. لمعرفة تفاصيل ظروف مقتل السلطان عثمان الثاني، ينظر: المحامي، فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 123-124.

3. المحامي فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 6، 1988م، ص 278.

Cengiz Orhonlu,"Mustafa I " ID, Vol.8/P. 695-700

4. Uzuncarsali,Osmanli Tarihi, Vol. 3/P. 568-607

5. Nuripasa,Netayic ulvukuat, Vol.1/P. 184

وخرقه الحراس بالسيوف والخناجر، وصُلبَ في اليوم التالي على شجرة في ميدان السلطان أحمد[1].

وبدأ الشعبُ العُثْمَانِيّ عامة، يستعدُ لثورة مضادة ضد ثورة القصر، فعلى الرغم من عدم كينونة المحبة للسلطان عثمان في حياته، فإنّهُ يذرف الدموع عليه بسبب استشهاده المفجع، وسلوكيات الحكام الجدد، إذ أطلق الناسُ على داود باشا بقاتل السلطان، فقام السلطان مصطفى بعزله تهدئة للخواطر بعد 24 يوما (نعيمة 236/2)، وعين مكانه قره حسين باشا (معزولا عن ولاية مصر وموجوداً في إستانبول مِنْ تاريخ (8 شعبان1031م/ 13-6-1622م) [2].

ووُصِف الصدرُ الأعظم الجديد بأجهلِ الصدور العظام في تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة وأعجزِهم، وصاحب سمعة سيئة، فهو ألبانيُ الأصل، كَانَ طباخاً للصدر الأعظم ساطرجي محمد باشا، يتكلم العُثْمَانِيّة بصعوبة، وأتُهم باختلاس أكثر مِنْ ثلاثين ألف ذهبية أثناء ولايته لمصر[3].

وكان لحادثة مقتل (80 انكشارياً) على يد أحد الضباط السيباهية مِنْ شرفات مآذن جامع السلطان أحمد دفاعاً عن نفسه، أثرٌ كبيرٌ في نفوس السيباهية والسكان، وأثار هيجانهم للمطالبة بدم السلطان عثمان[4].

وعلى أثر ذَلِكَ استقال حسين باشا مِنْ الصدارة بعد (25 يوما)، وعين مكانه زوج مربية السلطان مصطفى (وكان بدرجة وزير مِنْ الدرجة الرَّابِعة)، لكنّهُ عُزل بعد شهرين وأربعة عشر يوما في (11 ذي القعدة1031هـ/ 21 أيلول 1622م) مِنْ قبل السلطانة الوالدة؛ إرضاءً

1. Uzuncarsili,Fezleke,Ankara,1987, P.2-16.
2. Orhonlu,"Mustafa II", Vol. 8/P. 600.
3. Orhonlu,Mustafa II,P.601.
4. Gokyay,Sultan Osman Sehadeta,P.255.

للانكشارية، الَّذِي أغضبها سياسته اللينة تجاه معارضي الثورة، وعين مكانه كرجي محمد باشا، وهو مِنِ الأمراء الَّذِينَ دعموا سياسة السلطان عثمان الثَّانِي وإصلاحاته سراً.

وحشدَ والي ارضروم الشاب، وعمره (30 سنة) أباظة محمد باشا حوله الأمراء والسكان والسيباهية في الأناضول، فاضطربتْ الأناضول بكاملها، وامتدتْ الاضطراباتُ إلى ولايات سوريا والعراق، وأخذ الجميع مِنْ أمراء وقضاة يطالبون بدم السلطان عثمان الثَّانِي، ويقتلون ويحقرون كُلّ مِنْ صادفوه أمامهم مِنْ الإنكشاريّة. وكذلك فإنّ شعبَ إستانبول أثار بمرثياته وأشعاره وموسيقاه الحزينة السيباهية في المدينة في (3ربيع الأول1135هـ/ 31كانون الأول1722م)؛ إذ أعلنوا أن شرفهم العسكري قد ضاع ولن يسترد إلا بقتل المسؤولين عن مقتل السلطان عثمان الثَّانِي[1]، كما ساندَ شيخ الطريقة المولدية في قونية، الشيخ فروخ جلبي مساندته لأباظة محمد باشا، وأعلنتْ السيباهية في(1-2كانون الثَّانِي) إعلان الثأر لمقتل السلطان عثمان[2].

2- تقييم السلطنة الثَّانِية للسلطان مصطفى

كان السلطان وحكومته ألعوبة في يد قادة الإنكشاريّة، يمنحون المناصب لمن يريدون، ويجزلون العطايا والمناصب لمن يريدون[3].

لقد عمّت فوضى في العاصمة والولايات، فهذا والي طرابلس الشام قد أعلن الاستقلال وطرد الإنكشاريّة مِنْ ولايته كما صادر أباظة محمد باشا أملاك الإنكشاريّة وتبعه ولاة سيواس

---

1. Naima, Tarihi, Vol. 2/P.247.
2. Naima,Ibid, P. 247-248.
3. المحامي، فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ص 279.
Naima,Tarih , Vol. 2/P. 236.

وسنجق قرهشهر karasehr [1].

ومن ناحية أخرى، فإنّ الفتوى الصادرة بخلع السلطان كانتْ نتيجة لضعف عزيمته، ووهن قواه العقلية. وفي الحقيقة أنَّ السلطان مصطفى ذهب ضحية والدته والإنكشاريّة، فلمْ يكن لديه أدنى علمٍ بما يجري لسلطنته لا بالتعيين ولا بالعزل[2].

ولأن القانون العُثْمَانِيّ لا يسمح بتوزيع إكرامية الجلوس مِنْ خزينة الدولة، بَلْ مِنْ خزينة السلطان الخاصة، الَّتِي لا تحوي مبلغ الإكرامية المطلوب (2 مليون) سبيكة ذهبية، فقد جمعت أواني القصر الذهبية، وأعيد سكها إلى قطع نقدية لحل المشكلة.

ويُذكر أنَّ خزينةَ السلطان مصطفى عند ولايته المرة الثَّانِية كانت تحوي أكثر مِنْ خمسين مليون قطعة، ومبلغ لم يملكه حاكمٌ عثمانيٌ قبله أو بعده، بَلْ لم يملكه حاكمٌ في التاريخ القديم.

لكنّ رجالات القصر قد بددوه واختلسوه بأساليب مُخْتَلِفَة خلال فترة حكمه الَّتِي استمرت سنة وست أشهر و25 يوم، أمّا والدة السلطان مصطفى، فقد أُرسلتْ إلى السراي القديم، ووُضع السلطان مصطفى تَحْتَ الحجر والإقامة الجبرية حتى وفاته عن عمر 47 عاماً في (9رمضان1048هـ/ 20 كانون الثَّانِي 1639م)، ودفن في آياصوفيا[3].

---

1. Pecevi,Tarih,2/P. 90-9.
2. Hammer,Ossmanli Tarihi, 8/P. 370-376.
3. Pirnne,Sultan Mustafa II.Saltarati (Terc Akday) TTD,Vol 22.Say 14,.P. 92-124.

وسارعتْ الأغلبية الإنكشاريّة، الَّتِي أحدق بها الخطر إلى الانضمام للسيباهيين، وأعلنت صراحة أن لا علاقة لهم بمقتل السلطان عثمان، وأنّ بعض أفراد الإنكشاريّة هم مِنْ تآمروا مَعَ رجال القصر، وأنهم يؤيدون معاقبة القتلة بما فيهم الخونة مِنْ الإنكشاريّة[1].

وأدركت والدةُ السلطان أنّ جميعّ فئات الشعب مِنْ العلماء والعساكر يطالبون بمعاقبة القتلة، وخلع السلطان؛ حفاظاً على عرش ابنها وسلطتها، لذا فقد أُعدم داود باشا صبيحة (يوم 8 كانون الثَّانِي)، ومعه عدة أشخاص مِنْ القتلة وأُعدم والي بودين دلاويش باشا، وعزل الصدر الأعظم البالغ (80 مِنْ عمره بعد أربعة اشهر و 14 يوم)، وأعيد قره حسين باشا صدراً أعظم للمرة الثَّانِية في (4ربيع الثَّانِي1032هـ/ 5 شباط 1623م) [2].

لمْ يقمْ الصدرُ الأعظم خلال صدارته الَّتِي استمرت (6 أشهر و23 يوما)، بأي إجراءات تهدئ مِنْ النفوس، بَلْ كرّسَ جهدَهُ لإطالة سلطنة السلطان مصطفى، واختلسَ الكثير مِنْ خزينة الدولة؛ لدفع الرشاوى لهذا الهدف[3].

ولهذا السبب جمعَ شيخُ الإسْلام يحيى أفندي كبارَ العلماءِ في جامع الفاتح، وأقنعَهم بوجوب عزل الصدر الأعظم الجاهل، وسيء الصيت، وتمّ له ذَلِكَ، وعين مكانه كمنكش قره على باشا في (11 ذو القعدة1032هـ/ 30 آب 1623م)، الَّذِي كَانَ الوزير في الديوان بعد ولايته ديار بكر وبغداد[4].

---

1. – Naima,Tari,2/P. 236. Pecevi Tarh, Vol. 2/P. 38-98.

2. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص 462-465.

3. Solak zade,Tarih,P.706-714

أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص 462 – 464.

4. Danismand,Tarih, Vol. 3/P.320-324.

أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ ص462 –464.

لم يكن الصدر الأعظم الجديد أحسن حال مِنْ سابقه، إذ كَانَ على علاقةٍ وطيدةٍ مَعَ (كوسم) والدة ولى العهد مراد، وقبضَ مِنْهَا أموالاً طائلةً؛ لتوزيعها على ذوي النفوذ، وباتفاق مسبق مَعَ الصدريْن السابقيْن خليل باشا، وكرجي محمد باشا، وقام بتوزيع المال على والي مصر القادم إلى إستانبول بابور محمد باشا وأخيه قاضي إستانبول حسن باشا، وبعد مساع حثيثة استمرت أحد عشر يوماً، أيده قادة قبوقولو، الَّتِي كانت تطمع في جلوس جديدة وإزالة آثار السخط العام، وبناءً عليه صدرتْ الفتوى بخلع السلطان مصطفى في (11 ذو القعدة 1032هـ/10 أيلول 1623م) للمرة الثَّانِية[1].

الأمور الخارجيِّة:

نتيجة لأنّ الأحداثَ الدَّاخِلِيِّة والصراعات داخل القصر على السلطة غلبتْ على فترة السلطان مصطفى الأول؛ فلم يذكرْ المؤرخونَ شيئاً مهماً عن الأمور الخارجيِّة في هَذِهِ الفترة.

1. Orhonlu,Mustafa II,ID, Vol. 8/P. 695-607.

الفصل الرَّابِع

الأحوال السياسية في عهد السلطان مراد الرَّابِع

(1033-1050هـ/1623-1640م)

أولاً: شخصية السلطان مراد الرَّابِع

ثانيا: سلطنته الأولى (1033–1042هـ/1623–1632م)

1–الأحوال الدَّاخِلِيِّة

2– الأحوال الخارجيِّة (ثورة الأناضول)

ثالثا: سلطنته الثَّانِية (1042–1050هـ/1632–1640م)

1– الأحوال الدَّاخِلِيِّة

2– الأحوال الخارجيِّة

أ– الجبهة الأوروبية

ب– أحوال شمال أفريقيا

ج– الجبهة الإيرانية (الشيعة الصفوية)

أولا: شخصية السلطان مراد الرَّابِع

هو السلطان مراد بن السلطان أحمد الثالث بن السلطان محمد الرَّابِع، السلطان السابع عشر مِنْ السَّلَاطِين الْعُثْمَانِيِّينَ، وُلدَ في (28 جمادى الأولى سنة 1018هـ،/ 29 آب 1609م)، والدته السلطانة الوالدة (مهبيكر كوسم)، تولى السلطنة وعمره إحدى عشرة سنةٍ وشهر وخمسة عشر يوماً، كانتْ والدتُه نائبَ السلطنه، وولي عهده شهرزاده بايزيد، الَّذِي يصغره 5 أشهر[1].

وُلِدَ للسلطان مراد أحد عشر ابناً وخمس بنات، توفوا في المهدِ، وأكثرهم بعد الولادة مباشرة، ولم يبقَ منهم سوى أربع بنات، وصلن إلى سن الزواج؛ السلطانة رقية (1050-1102هـ/1640- ك2-1690م)، تزوجت مرتين، والسلطانة قايا اسمهان (1043-1070هـ/1633-1659)، تزوجت مِنْ الصدر الأعظم غازي ملك أحمد باشا، والسلطانة خان زاده (1041-1086هـ/1631- بعد 1675م)، والسلطانة كوهر خان (ولدت بعد 1040هـ/1630م)، وأخيراً السلطانة صفية، استمر نسلُّها حتى نهاية الدولة العُثْمَانِيّة. وبناء عليه فلم يبقَ مِنْ السلالة العُثْمَانِيّة إلا أخاه السلطان إبراهيم، أصغر أبناء السلطان أحمد، حتى عهد السلطان محمود الثَّانِي، الَّذِي أحيا بنسلِّهِ السلالة العُثْمَانِيّة حتى نهاية الدولة العُثْمَانِيّة.

وقد توفي السلطان مراد الرَّابِع بسبب مرض "دمله" Demle، وهو تشمعٌ في الكبد، ويُطلق عليه سيزور Sezur بالفرنسية أوGoutt، في الساعة الثامنة مِنْ مساء (العاشر مِنْ شوال 1049هـ/ الثامن مِنْ شباط عام 1640م)، بعد أنْ طرحه المرضُ مدة أسبوعين، مُنْذُ أواخرِ شهر كانون الثَّانِي.

---

1. Maina,Tarih,P.208-223

أوزتونا، يلماز، الدولة العثمانية، مج1/ص484-485.

وجرتْ له جنازة على الطراز القديم، الَّذِي كَانَ يجرى لسلاطين الأتراك قبل الإسْلام، بشكل لا ينسجمُ مَعَ الأعراف الإسْلَامِيّة؛ إذ قُلَبت سروج (3) مِنْ خيوله الَّتِي ركبها في غزواته، وسارتْ أمام الجثمان.

ودُفن السلطانُ مراد الرَّابِع في رواق جامع السلطان أحمد في قبرٍ متواضع قرب والده السلطان أحمد الأول وأخيه الكبير السلطان عثمان الثَّانِي؛ لأن إشهار القبور في الثقافة العُثْمَانِيّة فيه نوع مِنْ الخطيئة[1].

شخصيته الجسدية والفكرية والثقافية:

وَصفهُ هامر بأنّهُ: "كَانَ رجلاً جميلاً، حسنَ المنظرِ، طويلَ القامةِ، متناسقَ البدنِ، تنبع مِنْ وجهه آثار العظمة والمهابة، له عينان زرقاوان لماعتان، ذواتا تأثير[2]، داهيةً، مثقفً، لكنّهُ ظالم جداً، كَانَ يميل جداً إلى الهزلِ، النكتةِ، الطربِ إلى حد الإسفاف، ومع هذا كَانَ صاحبَ قرآن، مولوياً (أي يتبع مولى معين)، شاعراً، خطاطاً، ملحناً كبيراً، مرتبطاً معنوياً بالشيخ عزيز محمود خدائي أفندي[3].

وكان شيخه في المولوية أبا بكر جلبي (966-1052هـ/ 1558-1642). وكانت سفراته السياحية قليلة، فكانت إلى بورصه وازميت وأدرنه[4].[5]

---

1. Pecvi,Tarih, Vol. 2/380-398.
2. Abrege Desvies des Empereurs Tures Amstrdam, 1665,p 188.
   Hammer, Vol. 9/p. 102.
3. Y.Halacoglu,Xiv-Xvii Yuzyillarda Devlet Teskilati Ve SosyalYapi Ankara 1991, P.120-136.
4. Raw Daful Abrar,P.535-555.
   Danismand,Osmanli Tarihi, Vol.3/p220.
5. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص 487-480.

ثانيا: سلطنته الأولى (1033 – 1042هـ/ 1623 – 1632م)

1- الأحوال الدَّاخِلِيّة (السياسة الدَّاخِلِيّة)

يمكن تقسيم سلطنة مراد الرَّابِع إلى فترتين متناقضتين[1]:

السلطنة الأولى: دامت هَذِهِ الفترة ثماني سنواتٍ، وثمانية أشهر، وثلاثة عشر يوماً مِنْ (1033-1042هـ/ 1623-1632م).

تولى السلطان مراد سلطنته – كما ذكرنا وعمره إحدى عشرة سنة تقريباً، وأُطلق على هَذِهِ الفترة فترة الطفولة، وفترة نيابة السلطانة الوالدة كوسم (35 سنة)، وهي فترةٌ وُصفت بتحكم الأشقياء مِنْ الإنكشاريّة والصدور العظام، وفترة الفوضى الكبيرة الَّتِي أعقبتْ[2] الكارثةُ العُثْمَانِيّةُ، الَّتِي مضى عليها عشر سنوات، بمقتلِ السلطان عثمان الثَّانِي.

ويمكن رسم صورة واضحة للأحوال الدَّاخِلِيّة في هَذِهِ الفترة كما يلي:

يبدو أنّ الغرورَ قد استفحلَ بالصدر الأعظم اسبارطلي علي باشا؛ بسبب اعتقاده أن له الفضل الكبير في إجلاس السلطان مراد الرَّابِع على العرش، ولذا فإن أولى خطواته كانتْ التخلص مِنْ الصدرين الأعظمين السابقين اللذين كان لهما علاقة قوية بالسلطانة (كوسم) وقادة الإنكشاريّة، باعتبار أن داماد خليل باشا وكرجي محمد باشا أكبر منافسيْن له، فاتهمهما علي باشا بأنهما المحرك الرئيس للثورة المضادة الَّتِي ارجعت السلطان مصطفى الأول إلى العرش[3].

وأدركتْ السلطانةُ (كوسم) ومعها قادةٌ مِنْ الإنكشاريّة مدى خطورة هذا الاتهام، وخاصة أن علي باشا قد ارتكبَ جرمَ الكذبِ على السلطان مراد بادعائه ذلك، إضافة إلى تأويلِهِ سقوط بغداد بسببهما، ونظرته إلى السلطان مراد نظرة طفل، وألعوبة في يده، فقطعتْ رأسَ الصدر

---

1. العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 64.
2. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص 468-471.
3. Madame de Gomez, Hisiored,Osman P. 284-376.

الأعظم علي باشا بعد سبعة أشهر وأربعة أيام مِنْ توليه الصداره في (6 جمادى الآخر1034هـ/ 3 نيسان 1624م) [1].

وعُيّنَ السلطان بأمر مِنْ والدته العجوز جركس محمد باشا، الَّذِي كَانَ والياً على الشام ثُمَّ وزيراً تَحْتَ القبة، صدراً أعظماً، وحملَ ختم السلطان، ثُمَّ عُيّن قائداً أعلى للجيش العُثْمَانِيّ؛ لإستعادة بغداد مِنْ الصفويين، وإخماد ثورة الأناضول، وعُينَ كرجي باشا وكيلاً للصداره بعد مغادرة الصدر الأعظم إستانبول في (9رمضان1033هـ/ 17 حزيران 1624)[2].

2- الأحوال الخارجيّة (ثورة الأناضول)

كَانَ والي الأناضول أباظة محمد باشا ثائراً ضد السلطنة أيام السلطان أحمد الأول، مطالباً بدم السلطان عثمان الثَّانِي، وكان قسمٌ كبيرٌ مِنْ الأناضول تتلقى أوامره مِنْ الوالي مباشرة، وَلَيْسَ مِنْ الديوان السلطاني.

وكان أباظة محمد باشا يعتقد أن عجز الخزينة العُثْمَانِيّة بعد أربع اكراميات جلوس خلال ست سنوات، وسلبَ ما تبقى مِنْهَا مِنْ كبار رجال القصر خلال أزمة السلطان عثمان الثَّانِي، يجعلُ مِنْ الديوان عاجزاً عن مواجهتِهِ، ولذا بلغَ به الحدّ إلى محاصرة عاصمة الْعُثْمَانِيِّينَ الأولى مدينة بورصة (غرب الأناضول)، وعلى الرغم من حملة جركس باشا على الأناضول ضد أباظة محمد باشا، إلا أنّ هَذِهِ الحملة انتهتْ بالاتفاق مَعَ والي الأناضول سلمياً على الولاء للسلطان مقابل مزيد مِنْ الامتيازات للوالي[3].

ويبدو أنّ الصدرَ الأعظم قد توفي في نفس اليوم، الَّذِي اتفق فيه مَعَ الوالي أثناء قضائه فصل الشتاء في طوقات؛ إذ كَانَ يستعدُ للحملة على بغداد.

1. Hammer, Osmanli Derleti. Vol. 7/p. 223-23.
2. Nuriasa,Netayie Ulvukuat, Vol. 2/p. 3-4.
3. Evliya Celebi, Vol. 1/p. 228.

وأصبح أميرُ الأمراء في جيش الصدر الأعظم في طوقات الوزيرَ حافظ باشا، زوج السلطانة عائشة الابنة الكُبْرَى لـ(كوسم) "صدراً أعظماً وقائداً أعلى للجيش العُثْمَانِيّ". وُيوصف الصدرُ الأعظم بأنّهُ رجلٌ قديرٌ، وشريفٌ، رغم عدم كفاءته العسكرية؛ إذ لم يتمكن مِنْ استردادِ بغداد مِنْ الصفويينَ، وعاش أياماً عصيبةً أثناء الحملة فعُزل في (3ربيع الأول1036هـ/ 1كانون الاول عام 1626م)، بعد سنة وعشرة أشهر وواحد وعشرين يوما مِنْ صدارته[1].

وعُيّن داماد خليل باشا صدراً أعظما، وهي صدارته الثَّانِية، وغادر إستانبول في (1036هـ/ 4 كانون الثَّانِي 1626م)؛ لحل مشكلة ثورة أباظة محمد باشا، ومكثَ الصدرُ الأعظمُ الجديدُ في حلب ثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً، ثُمَّ وصل إلى عامد في ديار بكر في (11 ذو القعدة1036هـ/ 7 آب 1627م)، ولكنّهُ فشلَ في الاستيلاء على أرضروم[2] بعد (41) يوماً مِنْ حصار المدينة. فتم عزله بعد أن قضى فصل الشتاء في طوقات حوالي أربعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً في (8 شعبان1037هـ/ 6 نيسان 1628م)، ويعزى ذَلِكَ لفشله في القضاء على ثورة الأناضول.

دامتْ صدارةُ خليل باشا سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام، وبهذا يكون مجموع صدارته ثلاث سنوات وسبعة أشهر وسبعة أيام[3].

وفي هَذِهِ الأثناء لجأ سنغر ميرزا تيمور أوغلو والي إستانبول (1038هـ/ 1628م)، بعد أن اعتلى عمه شاه جهان عرش الهند، وقتله ثلاثة مِنْ إخوانه، وعلى الرغم من أنّ السلطان

---

1. N.Erim osmanli imparatctlugu Antlas malaria,1983,P.111-145.

2. قصبة ولاية أرمينيا التركية، وتعدّ من الحصون المهمة على الحدود الشرقية للدولة العثمانية، انظر: الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ص 207.

3. Baysun,umurad IV,ID, Vol. 8/P. 625-647.

مراد أكرم وفادته إلا أنه لم يُقدَم له المعونة العَسْكَرِيَّة الَّتِي طلبها؛ لأنه لا يريد توتر علاقاته الخارجيِّة في ظلّ الظروف مَعَ إيران وثورات الأناضول (هامر 98.9).

وعينَ خسرو باشا (زوج السلطانة عائشة) عمة السلطان مراد، وهو ابن أحد أمراء الإنكشاريّة المدعو خضربك، كَانَ أغا للإنكشارية ثُمَّ ترقَّى إلى وزير قبة، وُصف خسرو باشا بالذكاء والدهاء، قوي الشخصية، طموحاً، متآمراً وأنانياً، قائداً جيداً وظالماً كبيراً[1].

وتحركَ إلى الأناضول، ووصل طوقات بعد شهر وأربعة وعشرين يوماً مِنْ تعيينه قائداً للجيش العُثْمَانِيّ، وبعد أن جلس فيها شهراً وواحد وعشرين يوماً غادرها إلى أرضروم. فوصلها بعد شهر وتسعة أيام. وبعد أسبوع مِنْ وصوله ضرب الحصار على المدينة، وأجبر واليها أباظة محمد باشا على التسليم بعد أسبوعين مِنْ الحصار، أي في تاريخ (1محرم 1038هـ/ 22 أيلول 1628م)، وبهذا نجح خسرو باشا في إغلاق ثورة الأناضول التي استمرتْ لمدة ست سنوات، وسيق أباظه محمد باشا إلى إستانبول بمعية الصدر الأعظم، الَّذِي وصلها بعد شهر وستة وعشرين يوما في المسير في (12 ذو الحجة 1093هـ/ 9 كانون الأول 1682م) [2].

وأمرَ السلطانُ مراد بتسريح جيش الأناضول، الَّذِي بقي في حالة حرب أربع سنوات ونصف، وعلى الرغم من أنّ السلطان مراد وبَخ أباظة محمد باشا على تمرده، إلا أنه كَانَ يدرك إخلاصه، بَلْ كَانَ في داخله ممتنٌ لمطالبة أباظة محمد باشا بدم السلطان عثمان الثَّانِي، والانتقام مِنْ القتلة الَّذِينَ أُدخلوا البلاد في حالة فوضى داخليةٍ[3]، كما أن أباظة باشا لم يعلن

---

1. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية مج1/ص462-471.

2. المرجع نفسه، ص471-481.

3. لمزيد من التفاصيل، ينظر: الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية: دولة الإسْلَامِيّة مفترى عليها، ص 398.

خلال السنوات السابقة عصياناً صريحاً ضد السلطان مراد نفسه، فأرسله السلطان برتبة أمير أمراء والياً على البوسنة تجنباً لصدام جديد مَعَ رجال القصر وفي مقدمتهم والدته كوسم[1].

وبعد أن مكثَ الصدر الأعظم خسرو باشا في إستانبول 7 أشهر، كلفه السلطان مراد بالتحرك على رأس حملة جديدة إلى إيران في (10 شوال1038هـ/ 10 حزيران 1629م)، وعلى الرغم من أن خسروا باشا قاد الحروب ضد إيران بَيْنَ (1039- 1041هـ/ 1629- 1631م)، إلا أنه فشل في استعادة بغداد. فعزله السلطان أثناء وجوده في طوقات في (3ربيع الأول1041هـ/ 25 تشرين الاول 1631م)، وبهذا دامت صدارته ثلاث سنوات وستة أشهر وتسعة عشر يوماً[2].

ويوصف خسرو باشا بالظلمِ الشديد؛ فأعدم بالكثيرين وبطش بهم، إذ كَانَ يعتمد على الإنكشاريّة في العاصمة، ويوجههم بواسطة داماد رجب باشا خاصة بعد عزله[3]. ويبدو أن السلطان مراد الَّذِي بدأ ينضج شيئاً فشيئاً، شعر أن خسرو باشا ومراد باشا يحاولان إخافته باستبدادهما، وربما يريدان أن يلقى نفس مصير أخيه السلطان عثمان الثَّانِي، أو يريدانه سلطاناً مطيعاً ضعيفاً فاقد العزيمة كعمه السلطان مصطفى الأول.

لهذا السبب جاء عزل الصدر الأعظم خسرو باشا، وإعادة حافظ أحمد باشا إلى الصدارة العُظْمَى، وهو الرجل الَّذِي وصف بولائه للسلطان مراد[4].

---

1. IPefik,kaclinlar saltanati,p. 140-145.
2. Marriot,JA.R. The Eastern Question,London 1965,P.112-120.
3. الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ص 399-400.
4. Saadedden,M.,Tacuttawarih, Istanbul 1943,P.126.

وأحدثَ تعيين حافظ باشا ردة فعل – كما توقع السلطان–؛ إذ حرضَ رجب باشا الإنكشاريّة وسيباهية قبوقولو وفئات العاطلين عن العمل في العاصمة على الثورة في (19 رجب1041هـ / 10 شباط 1632م)، وأطلق عليها الكارثة العُثْمَانِيّة الصغرى.

وكان الهدف مِنْ هذا العصيان إسقاط صدارة حافظ باشا، وإخافة السلطان مراد، وقُتل حافظ باشا مِنْ قبل المتمردينَ أمامَ أعين السلطان بشكل مفجع بعد ثلاثة أشهر وستة عشر يوماً، وبهذا يكون مجموع صدارتيْه سنتين وشهرين وثمانية عشر يوماً[1].

وبعد أن مارست الوالدة السلطانة ورجالها في الديوان الضغط على السلطان مراد، عين داماد رجب باشا صدراً أعظماً وقد أطلق عليه السلطان "رئيس الاشقياء" EskiyaBasi [2].

كَانَ السلطان مراد يدرك أن الرجل الَّذِي أدار الثورة عن بعد وتعيين طوبال رجب باشا هو الصدر الاعظم المعزول خسرو باشا الموجود حالياً في طوقات؛ لأن طموحات خسرو باشا لَيْسَ لها حدودٌ، وأن ذكاءه يمكن أن يُحدث في الدولة أكثر مما حدث.

أمر السلطان والي الأناضول مرتضى باشا بالقبض على خسرو باشا، وأُبلغ مرتضى باشا رغبة السلطان وفرمانه إلى خسرو باشا، لكن الأخير اعترض على الفرمان السلطاني ورفض تسليم نفسه، وتعدّ هَذِهِ أول مرة في تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة يرفض فيها وزير أمر سلطان، فقصف قصر خسرو باشا بالمدفعية وأُرسلَ رأسُه إلى إستانبول، وطيف بها في (10 شوال1041هـ/ 11 أذار 1632م)، شوارع العاصمة[3].

---

1. المحامي، فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 126.

2. Sanizade,Tarih,(Haz.M.Ata) Istnbul 1985,P.213-230.

3. HayrullahEfencli,Tarih, Istanbul,1954,P.223-236.

أحدث قتل خسرو باشا ثورة ثانية في (20 شعبان) بتحريض مِنْ رجب باشا؛ إذ تجمع الثائرون السابقون أمام القصر السلطاني، وطالبوا السلطان برؤوس أقرب الناس إليه[1].

قرر السلطان مراد المواجهة العلنية، وهو ما يطلق عليه في التاريخ العُثْمَانِيّ بـ(أياق ديواني) AyakDivani، ولما زاد الهرج والمرج وحوادث القتل والنهب والسلب ومطالبة الثوار بإجلاس ولي العهد بايزيد على العرش صمَم السلطان على الخروج وجهاً لوجه، وأمر بإعدام زوج أخته الصدر الأعظم رجب باشا في (10 شوال1041هـ/ 18 ايار 1632م)، بعد ثلاثة أشهر وسبعة أيام مِنْ صدارته[2].

وعادَ المتمردونَ للتجمع في ميدان السلطان أحمد في (11 ذو القعدة 1041هـ/ 8 حزيران 1632م)، فدعا السلطان مراد رجال الديوان والعلماء، وفي مقدمتهم والدته السلطانة كوسم الَّتِي لم تكن مَعَ إجلاس ولي العهد بايزيد، لأنه لَيْسَ ابنًها.

وألقى خطاباً مطولاً، ومن أهمّ ما جاء فيه: "أنّ الفوضى قد تغلغلت في إدارات الدولة وكافة جوانبها، وأنّ الجيشَ لا يحارب، ولا يؤدي واجباته العَسْكَرِيَّة بسبب تدخلاتهم السياسية، وأن السلطان غيرُ مستعد أن يُقدَم الدولة لقمة سائغة للأشقياء واللصوص والخونة، لن يتردد لحظة في البطش بكل مِنْ يعصي أوامره، أو يخالف قوانين أجداده مهما كانت أهمية هذا الشخص أو قربه مِنْ السلطان"[3].

وقد أحدثت هَذِهِ الخطبةُ الَّتِي كانت تُمثل تهديداً غير مباشر لوالدته ورجالها أثرها عند سكان العاصمة، الَّذِينَ علتْ أصواتُهم تأييداً للسلطان، وانتقاماً مِنْ الإنكشاريّة والعصاة، الَّذِينَ أحدثوا ظلماً كبيراً على الشعب ورجال الدولة المخلصين.

---

1. Ibid,P. 237-240.
2. Rasid,Tarih,Istanbul 1948,P.312-315.
3. Baysun, “Murad IV”, Vol.8, P. 625-647.

وعدّتْ هَذِهِ الخطبةُ بمثابة وضع حد للمرحلة الأولى مِنْ ولاية السلطان الَّتِي اتسمت بالفوضى الإدارية والعَسْكَرِيَّة، الَّتِي أعقبت مقتل السلطان عثمان الثَّانِي؛ إذ كَانَ السلطانُ مراد رهينَ سلطة والدته كوسم نائب السلطنة لثماني سنوات وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً[1].

ثالثا: سلطنته الثَّانِية (1042 – 1050هـ/ 1632 – 1640م)

1- الأحوال الدَّاخِلِيَّة

- السلطنة الثَّانِية

افتتح السلطان مراد ولايته الثَّانِية بعزل والدته السلطانة كوسم (43 سنة) عن السياسة، ونقلها مِنْ قصر الحكم طبقبوسراي إلى السراي القديم، وهي ترتدي ثوبَ الحزنِ والمرارةِ على أيام قد مضتْ[2].

وقام السلطان على المستوى الدَّاخِلِيِّ بمجموعة مِن الاجراءاتِ، أهمها:

- إلغاء الفصيل المركزي في الإنكشاريّة الَّذِي يُطلق عليه أورطه Orta، والى هذا الفصيل وُجَهت التهمةُ بمقتل السلطان عثمان الثَّانِي، ويطلق عليه فصيل العشرة[3]. وبقيت الإنكشاريّةُ حتى إلغائها عام (1242هـ/ 1826م)، تلعن هذا الفصيل في مراسمها الَّتِي تقيمها كُلّ ثلاثة أشهر، للإساءة الكبيرة الَّتِي ألصقها بهم[4].

---

1. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص 471-481.
ماتنران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج1/ص354-359.

2. A.Refik,Kaclnlarsaltanati, P.136
Baysun,"Kosem Sultan" ID, Vol. 6/p. 915-923.

3. ماتنران، روبير، الدولة العثمانية في القرن السابع عشر، ج1/ص345-354.

4. Uzuncarsil, Kap,kuly Ocklar, Vol.2 . Ankara, 1988.

- لم يكتفِ السلطان مِنْ طرد أمه مِنْ الحياة السياسية والقصر، بَلْ بحث عن كُلِّ قتلة السلطان عثمان الثَّانِي، وأمر بقتلهم[1].

- أمر بإعدام كُلّ مِنْ كَانَ له علاقة بثورات الأناضول سواء بالاشتراك الفعلي أو التأييد أو قام بسلب أو نهب السكان، أو أحدث ظلماً عليهم[2].

- أصدر أمراً بمنع التدخين في (3ربيع الأول1043هـ/ 16 ايلول 1633م)، في الأماكن العامة والمنازل، بعد (28 سنة) مِنْ استخدامه، لكنّهُ أعاد شربه بعد فتوى بعدم تحريمه رغم إقرار ضرره عام (1050هـ/ 1640م، ويعود قرارُ منع التدخين؛ لأنه تسبب في حريق إستانبول الكبير في (2صفر1043هـ/ 2 أيلول 1633م)، الَّذِي ذهب بسببه أكثر مِنْ (22.000 منزل)[3].

- أمرَ بمنع شرب القهوة الَّتِي عُرفت في عام (963هـ/ 1555م)، أي بعد (78 سنة) مِنْ استخدامها، وهدمِ جميع المقاهي؛ لأنها كانت مركزاً لتجمع أفراد العساكر والمداولة في السياسة، وسمح بشرب القهوة في البيوت فقط[4].

ويبدو أن هذيْن الإجراءين الأخيرين لم يكونا غاية في حد ذاتهما، أنما وسيلة لخلق جو يُجيز للسلطان مقاومة أعدائه.

- أمر بإعدام شيخ الإِسْلام أخ حسين زاده أفندي في (7رجب1043هـ/ 7 كانون الثَّانِي 1634م)، وتعدّ هَذِهِ أول حادثة في التاريخ العُثْمَانِيّ؛ إذ إن القانون الإِسْلَامِيّ عامة والعُثْمَانِيّ خاصة لا يجيز محاكمة العلماء أو قتلهم، وإنما يكتفي بعزلهم أو نفيهم؛ لأن

---

1. Uzuncarsili,Osmanli Tarihi, Vol.3/p. 222.
2. Ibid, p. 224-226.
3. Naima Tarihi V, p. 163-180.
4. Sertoglu,Osmanli Tarih, p. 181-185.

العلماء مِنْ فئة الأحرار، وأعلى سلطة مِنْ السلطان نفسه، ولا يجوز محاسبتهم إلا مِنْ قبل مجلس القضاء الأعلى. ويبدو أن السلطان أراد بهذا الإجراء إثبات أنه لَيْسَ هُنَاكَ امتيازٌ لأي طبقة مِنْ الطبقات على سلطة الدولة وهيبتها، وخاصة بعد أن أصبح العلماءُ أُلعوبةً في أيدي الإنكشاريّة والمتمردينَ ورجالات القصر[1].

- أصدر السلطان فرماناً في (2صفر1044هـ/ 5 آب 1634م)، بمنع المشروبات الكحولية، وحظر المشروب على المسلمين، وأُغلقتْ كافةُ المحلات الَّتِي تبيعها، واستندَ السلطان إلى قوانين الشَّرِيعَة الإِسْلَامِيّة الَّتِي حظرت المشروبات قبل نصف قرن، حتى داخل المنازل. وصدر قرار السلطان باعدام كُلّ مِنْ شرب خمراً أو دخن تبغاً في مكانه. وكان هدفُ السلطان من ذك، وهو شارب للخمر في القصر، فرضَ هيبة الدولة، وإطاعة أوامرها.
- أمر السلطان مراد أثناء قيادته حملة إيران الأولى (الحملة على الشيعة الصفوية)، بإعدام كُلّ مِنْ ولي عهده شهزاده بايزيد، وعمره (23 سنة)، وكان ولي عهد أخيه السلطان مراد مُنْذُ جلوسه على العرش قبل أحد عشر عام وعشرة أشهر وسبعة عشر يوماً، ووُصف بأنه أميرٌ مقتدرٌ جداً، أما شهزاده سليمان فعمره (20 سنة)، وتم خنقهما بخيط حرير. لكنه أبقى على حياة أخيه شهزاده قاسم شقيقه مِنْ والدته كوسم وصار ولي عهده فيما بعد، لكنه أمر بإعدامه وتم ذَلِكَ بخيط مِنْ حرير أثناء حملته الثَّانِية، وعمره (24 سنة)، وبعد سنتين وعشرة أشهر وسبعة عشر يوما[2]، وفيما دفن بايزيد وسليمان في مقبرة أبيهما السلطان أحمد الاول، دُفن قاسم في مقبرة السلطان مراد الثالث في أياصوفيا.

---

1. Baysun “Murad IV,ID", Vol. 8/p. 625-647.
2. Y.Akcura osmanli Devletinin Dagilma Devri,Ankara, 1986,P. 15-16.

وعدّت هَذِهِ الحوادث تراجيديا كبيرة، وانتشر هَذا الخبر المأساوي في كُلّ أنحاء الدنيا، بَلْ أنّه تم تصوير هَذِهِ المأساة في تراجيديا مِنْ خمسة فصول أطلق عليها بالفرنسية Raeine أو Bajazet عام (1083هـ/ 1672م)، وأسفرت هَذِهِ المأساة عن انقطاع السلالة العُثْمَانِيّة ولم يبق إلى جانب السلطان مراد سوى أخوه الأصغر إبراهيم شقيقه مِنْ والدته (كوسم)، وصار ولي عهد السلطان، وعمره (22 سنة)[1].

- وعندما أصبحت السلطة بيد السلطان في بداية مرحلته الثَّانِية أُعدم رجب باشا وعين مكانه طابانيياجي محمد باشا TabaniYasi صدراً أعظماَ، وقد عمل الصدر الأعظم الجديد خلال مدة صدارته البالغة أربع سنوات وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما، كُلّ ما بوسعه لإعادة السلطنة وتقويتها، وقد أرسله السلطان بعد عزله في (7رجب1042هـ/2 شباط 1633م)، وكان حينها قائداً للجيش في عامد في ديار بكر أمير أمراء إلى بودين في المجر[2].
- عين السلطان الوزير المقتدر دامادباليرم باشا صدراً أعظماً، وكان متزوجاً بالسلطانة خان زاده الأخت الكبيرة للسلطان مُنْذُ (15 عام)، وكان بيرم باشا وكيلاً للصدر الأعظم طاباني باشا (قائم مقام الصدارة) أثناء وجوده على الجبهة الإيرانية، كما عين نائباً للسلطنة عندما كَانَ السلطان في حملته الأولى على إيران، ضم بايرم باشا كسلفه الصدارة وقيادة الجيش معاً.

---

1. Yunskerim “ IV Murad Devrinde Osmanli Savevi Murasebefleri. Istanbul 1977, P.84-85.
2. Ibid,P.86-87.

وتوفي الصدرُ الأعظم قرب بيره جك Bireak، حينما كَانَ في حملته على إيران بصحبة السلطان مراد في(4ربيع الثَّانِي1048هـ/ 26 آب 1638م)، دامت صدارته سنة وستة أشهر واثنين وعشرين يوماً[1].

فعين مكانه الوزير المقتدر طبار محمد باشا، وهو مِنْ قرية لادك بَيْنَ سامون وأماسيا مسقط رأس بايرم باشا، فيما عين الوزير موسى نائباً للسلطنة وقائمقام الصدارة، لكن طبار لم يدم في الصدارة سوى ثلاثة أشهر وثمانية وعشرين يوماً بسبب استشهاده في (8 شعبان1048هـ/ 23 كانون الأول سنة 1638م) أمام أسوار بغداد.

ومن المعروف أن أوجار مصطفى باشا والد طبار محمد باشا استشهد هو كَذَلِكَ عند احتلال الصفويين لبغداد، ودُفن طبار محمد باشا في الأعظمية خارج بغداد، ولا يزال قبرُهُ موجوداً هناك[2].

وعين آخر الصدور العظام في عهد السلطان مراد كمانكشKemenkes قره مصطفى باشا، وكان أميراً للبحر (قبطان دريا)، ولقب مُنْذُ شبابه بهذا اللقب، لأنه كَانَ مِنْ أشهر الرماة في عصره، وأعدم هذا الصدر في عهد السلطان إبراهيم في (11ذو القعدة1053هـ/ 31 كانون الثَّانِي 1644م)، ودامت صدارته في عهد السلطانين مراد وإبراهيم خمس سنوات وشهراً وثمانية أيام[3].

- أمر السلطان بإنشاء كشك روان الظريف لإحياء ذكرى حملة روان، وكلف المار قاسم أغا بإنشاء كشك بغداد الَّذِي يعد مِنْ روائع الهندسة المعمارية العُثْمَانِيّة في (8 شعبان1050هـ/ 5 كانون الأول 1640م)، وتم البناء قبل وفاة السلطان مراد

---

1. Ibid,P.88.
2. Baysun,"Murad IV', Vol.8/P. 647.
3. Ibid, Vol.8/P. 635.

بـ(34 يوما)، ولقي قاسم أغا تقديراً كبيراً مِنْ السلطان تناقلته المصادرُ العُثْمَانِيّةُ سنين طويلة[1].

أ- الأحوال الخارجيِّة

ب-الجبهة الأوروبية

قرر السلطان مراد بعد (13 سنة) مِنْ حملة أخيه عثمان الثَّانِي شنّ حملة على بولونيا، بسبب امتناعها عن دفع الضريبة وهدم قلاع الحدود، لكنه استطاع عقد اتفاقٍ مَعَ البولونين أثناء وجوده في أدرنه في (10شوال1043هـ/ 27 نيسان 1634م)، كما تفادى السلطان نشوب حرب مَعَ البندقية Venedik –أثناء الحملة الإيرانية الثَّانِية– بسبب الخلاف بَيْنَ الدولة العُثْمَانِيّة في دالماجيا وقلعة البندقية، واستطاع السلطان مِنْ خلال معاهدة إستانبول الموقعة مَعَ البندقية في (3ربيع الأول1049هـ/ 16 تموز 1639م)، تأجيل هَذِهِ الحرب على الأقل مدة 6 سنوات، وبموجب المعاهدة هَذِهِ سددت البندقية غرامات قدرها 250.000 سكة ذهبية. وفي الوقت نفسه أبقى السلطان مراد بعد حملة إيران الجيش مستعداً لحرب البندقية، وأمر الأسطول العُثْمَانِيّ بالتوجه إلى البندقية، لكنه توفي قبل تحرك الأسطول[2] .

ج- أحوال شمال أفريقيا

لم يعد نفوذ الأمراء في شمال أفريقيا والجزائر المركز قوياً كما كَانَ سابقاً مُنْذُ ارسلتهم الدولة في بدايات القرن السادس عشر، وأصبح دايات الجزائر، وهم قادة الإنكشاريّة يسيطرون

1. Ibid, Vol. 8/P. 634-636.

2. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص 471-487. وينظر للاستزادة عن أحوال شرق أفريقيا: رافق، عبد الكريم، العرب والأتراك، 1516- 1916م، مكتبة أطلس، ط 1، دمشق، 1974، ص 73 – 74.

فعلاً على الولايات في شمال أفريقيا، وأصبح الأسطول الجزائري في غرب البحر المتوسط أهم مِنْ الأسطول العُثْمَانِيّ نفسه[1].

لكن هذا الأسطول صبّ همه على حركة القرصنة (حركة الجهاد في غرب البحر المتوسط) أكثر مِنْ إدارة الدولة المركزية وشؤونها، إذ أصبحوا لا يخدمون الدولة في المركز إلا حينما يطلب منهم ذلك، فالقرصنة شغلهم الشاغل بعدما بلغ الأسطول الجزائري (210 قطعة) تحمل ما بَيْنَ (25–40 مدفعاً)، فأصبح أعظم أسطول في العالم بعد ضعف الأسطول الإسباني[2].

واستطاع الأسطول الجزائري خلال الثمان سنوات الأولى مِنْ حكم السلطان مراد الرَّابِع أن يستولي على (936 سفينة)، وأغرق الكثير في عرض البحر المتوسط وسواحل المحيط الأطلسي، وبعدما تخلت إستانبول عن حماية فرنسا وأسطول ها بعد ضعف الأسطول الإسباني، أصبحت السفن الفرنسية نفسها عرضة لقراصنة الجزائر، واستطاع الأسطول الجزائري بَيْنَ (1629–1634م)، الاستيلاء على (25 سفينة فرنسية) في سواحل المحيط الأطلسي، و(28 سفينة أخرى) سُحبت إلى ميناء الجزائر مِنْ عرض البحر المتوسط[3].

مِنْ جانب آخر كانت حالة الحرب لا زالت مستمرة بَيْنَ الدولة العُثْمَانِيّة وإسبانيا، وكانت أوامر الديوان السلطاني تنص على ملاحقة السفن الإسبانية أينما وجدت، ولهذا صدرت الأوامر

---

1. التر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، ص 256–258.

Naima Tarihi, Vol. 3/P. 390.

2. التر، الأتراك، ص259–260.

Evliye Celebi, Vol. 1/P. 318.

أوزتونا، يلمازا، مج1/ص471–475.

3. التر، الأتراك، ص 261–263.

Baysun,Murad IV,ID, P. 640–641.

إلى الأسطول الجزائري بهذا الشأن، فأغار على مينائي Messina ,Ipeggio وأنزل سفنه في جزيرة كورسيكا، وتبعه إنزالٌ على جزيرة سردينيا عام (1047هـ/ 1637م)، ثُمَّ نزل الجنود الجزائريون في Gaeta بَيْنَ نابولي وروما في خريف العام نفسه[1].

وعاد الأسطول الجزائري وبمعيته قطع بحرية تونسية ومن طرابلس الغرب مِنْ سواحل سردينيا وكالابريا عام (1047هـ/ 1637م)، بغنائم كثيرة[2].

وبالتعاون مَعَ العرب الَّذِينَ نفوا مِنْ إسبانيا، استطاع التونسيون والليبيون والمغاربة مِنْ اقامة قاعدة بحريّة على سواحل الأطلسي على مقربة مِنْ شمال الرباط، متخذين مِنْ تشكيلات الأسطول التركي أُنموذجاً لهم، وكانت الجزائر الَّتِي تعدّ مركز القوة والولاية في شمال أفريقيا تدعم هَذِهِ القاعدة، الَّتِي استطاعت أن تُلحق خسائر كبيرة في الأسطول الإسباني في المحيط الاطلسي مُنْذُ تشكيلها عام (1019هـ/ 1610م) [3].

د- الجبهة الإيرانية(الشيعة الصفوية)

شهدت الحروب العُثْمَانِيّة – الإيرانية ثلاث مراحلٍ، هي[4]:

المرحلة الأولى (1034- 1045هـ/ 1624-1635م)

احتل الإيرانيون الصفويون بغداد ليلة 1034هـ/ 11-12 كانون الثَّانِي 1624م، بعد حصار دام ثلاثة أشهر، لم يستطع الصفويون دخول المدينة عن طريق الاستسلام. ولكن عن

---

1. الترِ، الأتراك، ص 261-263.

Nefeyec Ulvukuaf, Vol.3/P. 8-9.

2. Hammer,Osmanli Devletinin, Vol.9/P.187-188.

3. Ibid, P. 188-190.

4. لمزيد من التفاصيل حول الصراع العثماني الصفوي. ينظر: رافق، عبد الكريم، المشرق العربي في العهد العثماني، مطبعة رياض، دمشق، د.ط، 1988، ص 146- 155.

طريق الخيانة مِنْ قبل درويش محمد بك بن بكر باشا محافظ بغداد، وكان درويش محمد بك، على علاقة سيئة بوالده، فأراد الانتقام مِنْ والده عن طريق الخيانة[1].

وكان الشاه عباس، الكبير قد عذَب بكر باشا مدة سبعة أيام بعد أن رفض اعتناق المَذْهَبِ الشيعي، وأحرقه حياً على ظهر مركب في النهر بعد أن ملأه بالنفط واشعلفيه النيران. وقتل كَذَلِكَ كُلّ مِنْ قاضي بغداد عمر نوري أفندي خطيب أولو ulu جامع محمد أفندي ومئات مِنْ الضباط والمدنيين الْعُثْمَانِيِّينَ، وجمع مِنْ أشراف السنة. كما أُخذت زوجاتهم وبناتهم إلى دور الدعارة في المدن الإيرانية. وقد كافأ الشاه عباس درويش محمد باشا على خيانته بأن منحه لقب "أمير أمراء" برتبة خان[2].

وتصادف في نفس الفترة أن أوروبا كانت تشهد مذابح مذهبية بَيْنَ الكاثوليك والبروتستانت، وما نتج عنها مِنْ تدمير للمدن والقرى وقتل الآلاف مِنْ الطرفين[3].

إن احتلال بغداد وما جرى لسكانها قد صادف بداية حكم السلطان مراد الرَّابِع، الَّذِي تتحكم فيه والدته كوسم وضباط الإنكشاريّة والصدور العظام كما رأينا، إلا أن المحاولات العُثْمَانِيّة لم تتوقف خلال هَذِهِ الفترة لتحرير بغداد مِنْ الاحتلال الفارسي[4].

وجاء تسلسل العلاقات العُثْمَانِيّة – الإيرانية(الشيعة الصفوية) ونتائجها لهذه المرحلة على النحو التالي:

---

1. bacque-grammont,J.L,"Xvllyuzyilinilk Yarasinda Osmanlilar Ve Savfeviler, Istanbul, 1991,p. 205-2019.

2. Ibid,p.2015-219.

3. لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع، ينظر: عبد الرحيم عبد الرحمن، معالم التاريخ الأوروبي الحديث، جامعة بيروت العربية،د.ت د.ط، 1982، ص 90.

4. bacque,xviLxuzyilin,p.205—219,H.sahillioglu,IV.muratin bagdat menzilnamesi TD11/3-4(1967), p.1-35.

- حاصر الصدر الأعظم حافظ أحمد باشا بغداد بين (2شوال1035- 10شوال1035هـ/ 13 تشرين الثَّانِي و 3 تموز 1626م)، وعلى الرغم من أن الشاه عباس قد حضر إلى بغداد لمواجهة الجيش العُثْمَانِيّ، إلا أنه أراد مِنْ ذَلِكَ حربا نفسية تضعف عزيمة الْعُثْمَانِيِّينَ مِنْ استعادة المدينة، وقد نجحت خطته إذ فكَ حافظ باشا الحصار بعد سبعة أشهر وعشرين يوما، فقد فيها الطرفان الكثير مِنْ جنودهم. واستطاع الفرس أن يسيطروا على مدينتي النجف وكربلاء المقدستين لهم. ويُعزى سببُ فشل الْعُثْمَانِيِّينَ هذا إلى عدم قدرتهم مِنْ الاستفادة مِنْ حالة العداء بَيْنَ إيران والهند وتركستان الحليفان القويان للدولة العُثْمَانِيّة[1].
- بدأت الجولة الثَّانِية لتحرير بغداد بقيادة الصدر الأعظم دماد خسر باشا الَّذِي تحرك مِنْ إستانبول في (10 تموز 1629م)، لكنّه فشل كذلك، لأنّه عدل عن الاتجاه إلى بغداد، واتجه إلى كركوك لقضاء الشتاء فيها، ولكنه كسب ولاء 29 لواء كرديا وتركمانيا، وأكثر مِنْ عشرين عشيرة كردية وعودتها إلى السيادة العُثْمَانِيّة، بعد أن كانت تقدم ولاءها للشاه الصفوي، ويبدو أن السبب في ذَلِكَ يعود إلى موت الشاه الصفوي عباس الكبير في (2صفر1038هـ/ 27 تشرين الأول 1628م)، وانتقال السلطة إلى حفيده ابن صافي ميرزا الَّذِي لقب بصافي الأول، ولم يكن بخبرة جده، كما أن صعود نفوذ المغول الَّتِيموريين السُنة في الهند، وقد أضعف الصفويين الشيعة وجعلهم في المرتبة الثالثة بعد الْعُثْمَانِيِّينَ والمغول[2].

---

1. Kutukogin,Osmanli-Iran,p.201-220.
2. Ibid,p.222-23.

- كما شهدت هَذِهِ الجولة استيلاء والي طرابلس الشام بارمق سز Barmaksiz مصطفى باشا على مدن الحلة والنجف وكربلاء والكوفة وإرجاعها إلى حظيرة الْعُثْمَانِيِّينَ، مما جعل شاه فارس يعدم وزيره الأول زنيل خان الَّذِي كَانَ يقود جيشاً يقدر بأربعين ألف جندي في معركة مهربان أمام الجيش العُثْمَانِيّ بقيادة والي طرابلس، وأسفر هَذِهِ الوضع عن تراجع الإيرانيين إلى داخل أسوار بغداد، بعد أن فقدوا كُلّ المناطق الَّتِي تحيط بها[1].

- جدَّد خسرو باشا تحركه مِنْ داخل إقليم كردستان لفتح مدينة همدان الَّتِي تقطنها الغالبية التُّرْكِيَّة في (10شوال1039هـ/ 9 حزيران 1630م)، وسيطر الجيش العُثْمَانِيّ في (18 حزيران) على الطريق الَّذِي يربط همدان بقزوين، واستطاع هزيمة وإفناء الجيش الإيراني الَّذِي يبلغ (12 ألف) مِنْ الخيالة والتفذكجيه (حملة البنادق المشاة) بقيادة حسين خان، وأسفر ذَلِكَ عن سقوط إيران الغربية أو ما يطلق عليه بالعُثْمَانِيّة العراق العجمي الَّذِي يضم كردستان (أردلان)، لورستان، وخوزستان كرمنشاه إلى السيادة العُثْمَانِيّة[2].

- لقد وجه الديوان السلطاني التهمة بالخيانة لخسرو باشا بمخالفة أوامر السلطان في تغيير وجهة الجيش العُثْمَانِيّ إلى داخل الأراضي الإيرانية، وعدم السيطرة على بغداد، وأن فشل حصار بغداد بعد 39 يوم بين (2صفر1040-4ربيع الثَّانِي1040هـ/ 5 تشرين الأول و 14 تشرين الثَّانِي مِنْ عام 1630م)، رغم رميها بأكثر مِنْ 500 قذيفة يومياً (هامر 151/9).وخروج الأعظمية مِنْ يد الْعُثْمَانِيِّينَ، واستشهاد الوزير مرتضى باشا، واستيلاء

1. Ibid,p.240-242.
2. Kutukogin,Osmanli-Iran,p.250-254.

الشاه صافي على الحلة في كركوك بعد انسحاب خسرو باشا وجيش خليل باشا والي ديار بكر الَّذِي يقدر ب 10.000 جندي، قد أكد خيانته وأستحق الإعدام[1].

- بعد أن مكث خسرو باشا في الموصل 4 أشهر و41 يوما في ماردين قدم إلى ديار بكر وانضم إليه 30.000 مِنْ جنود القرم، لكن قرار عزله قد صدر أثناء وجوده في ديار بكر فانسحب إلى طوقات في ظروف كَانَ الجيش فيها متعباً، لأنه تحمل خسائر كبيرة في هَذِهِ الحملة الَّتِي استمرت 11 عاماً[2].

المرحلة الثَّانِية: حملة روان الأولى (10شوال 1044-7رجب1045هـ/ 28 أذار -27 كانون الأول 1635م)

قرر السلطان مراد الرَّابِع الَّذِي أصبحت خيوط السلطة في يده، وأمّن الجبهة الدَّاخِلِيّة، أن يقود الحرب ضد إيران بنفسه.

غادر السلطان إستانبول في (10شوال1044هـ/ 28 أذار 1635م)، على رأس قسم مِنْ الجيش، أما الجيش الثَّانِي فتحرك مِنْ ديار بكر في (26 نيسان) بقيادة الوزير الأعظم طاباني ياصي محمد باشا، ووصل إلى أرضروم في (5 حزيران)[3].

وقام السلطان أثناء مسيره بزيارة معنوية إلى قبر مولانا جلال الدين الرومي في قونية، ومن ثُمَّ أمر بقتل كُلّ مِنْ أُتهم بتمردات الأناضول، وطهّر الجيش مِنْ كبار قادته المشكوك في ولائهم- كما ذكرنا سابقاً- والتقى جيش الصدر الأعظم في بايبورت Pyport في 17 حزيران،

1. Ibid,p.254-260.
2. Ibid,p.277-279.
3. Aykut," Ivmuradsin N Seferi,tD,Xxxiv,1984, p.183-246.

وبعد 9 أيام قضاها في أرضروم، ترك فيها (50.000 جندي)؛ لإمداد الجيش العُثْمَانِيّ عند الحاجة. ثُمَّ تحرك في 11 تموز على رأس جيش تعداده (200.000 جندي و130 مدفعاً)[1].

ويذكرُ كاتب جلبي الَّذِي كَانَ يرافق الجيش وهو في الخامسة والعشرين مِنْ عمره" أن الاستعراض الَّذِي نظَمه السلطان لجيشه خارج أرخروم لم يجمع جيشا عثمانيا مِنْ قبل مثيلاً له، وضبطا ونظاما لم ير شبيهاً له"[2].

وبدأ السلطان حصار روان في (27 تموز) واستسلمت القلعة بعد(11 يوم فقط في 8 آب)، رغم أن شاه إيران أدخل حوالي (12 ألف) جندي إلى القلعة لمساعدة محافظها طهمسبقولو خان ابن أمير امراء الولاية كونه خان. ويبدو أن الجيش الإيراني بقيادة رستم خان الَّذِي كَانَ على مسافة قصيرة مِنْ القلعة تراجع عن الالتحام المباشر مَعَ الْعُثْمَانِيِّينَ.

وأحدث فتح مدينة روان السريع صدى كبيرا في الإمْبرَاطُورِيَّة العُثْمَانيّة، وزاد مِنْ شعبية السلطان مراد الرَّابِع الَّذِي استطاع إعادة هَذِهِ المدينة بعد 31 سنة مِنْ احتلالها عام (1013هـ/ 1604م) [3].

وبعد أن صلَّى السلطان صلاة الجمعة الَّتِي أقامها شيخ الإِسْلام يحيى أفندي الَّذِي يرافق السلطان في (10 آب)، واصل تعقبه للجيش الإيراني في أكثر مِنْ (12يوما) على امتداد نهر آراس لكن الإيرانيين استطاعوا الإفلات منه[4].

---

1. Naima,Rawdaful Abrar,p.585-600.
2. Yanskeam,IVmurad Devrindi, P.216-220.
3. Ibn Kemal Pasa Tevarihi Al Osman, Defter vll,nsr.a.ulgur,Ankara, 1957,P.87-88.
4. Pour Ali, Dafar, Nadirsah Devrinde Osmanli, Iran Munasebtfleri. Istanbul, 1977,P.279-280.

ولم يُدهشْ الصفويون بسقوط المدينة بهذه السرعة ودون سفك دماء، بَلْ أثار إعجابهم النظام العسكري العُثْمَانِيّ الَّذِي لم يتعودوا عليه مُنْذُ زمن القانوني[1].

وتروي إحدى الروايات أنه حينما اقترب السلطان مراد إلى مدينة بايزيد شاهد غراباً يقف على أعلى مأذنة جامعها، فأسرع بحصانه، ورمى بسهمه، وأصاب الغراب. وشيَّد نصباً تذكارياً عند الممر مكان سقوط الغراب كتب عليه "دخل السلطان مراد خوي في أيلول ودخلت تبريز في (11 أيلول)".

ويعدّ فتح تبريز الفتح العُثْمَانِيّ السادس للمدينة بعد الاحتلال الصفوي الأخير للمدينة قبل (32 سنة). وبلغ عدد سكانها آنذاك (550.000) [2].

وكان ضمن خطة السلطان بعد فتح تبريز حصار اصفهان، لكنَ مرضاً ألمَّ به وجعله يعدل عن خطته، فعاد إلى إستانبول بعد (9 أشهر) قضاها في ديار بكر والطريق، قدم خلالها الكثيرون مِنْ الأمراء والمتمردين الولاء إلى السلطان[3].

كانت عودة السلطان إلى إستانبول فرصة جديدة للشاه الصفوي صافي الَّذِي عاد حصار روان الَّتِي استسلمت بعد (7 أشهر و24 يوم) بعد استشهاد محافظها الوزير مرتضى باشا، واستغل الشاه الصفوي ظروف الشتاء القاسية فاسترجع تبريز والقسم الأكبر مِنْ أذربيجان، كما هزم الْعُثْمَانِيِّينَ في معركة مهران في (4ربيع الثَّانِي1046هـ/ 2 ايلول 1636م)، بعد استشهاد والي الشام الوزير كوجد أحمد باشا الَّذِي بقي يقاوم رغم مرضه الشديد، وسلم الشاه الصفوي جثمان الوزير أحمد باشا إلى الْعُثْمَانِيِّينَ احتراماً لشجاعته[4].

---

1. Ibid,P.287.
2. Ibid,P289.
3. Kutukoglu, bekir, Osmany Iran, p.146-150.
4. Ibid, P 152-154.

وقد أدت هَذِهِ الهزيمة إلى عضب السلطان على الصدر الأعظم طاباني ياحي محمد باشا الَّذِي كَانَ يقيم بَيْنَ ديار بكر وقارص، ولم يقدم المساعدة إلى والي الشام؛ فعزله مِنْ منصبه وعينه محافظاً على بودين تجنباً لإعدامه، اذ قدم هذا الصدر الأعظم خدمات جليلة للدولة[1].

المرحلة الثالثة: حملة بغداد (12 ذو الحجة 1047 – 2صفر 1049هـ/ 8 ايار 12/1638 حزيران 1639م)

رغم المرض الَّذِي كَانَ يعاود السلطان– مِنْ حين لآخر– البالغ حوالي 25 مِنْ عمره، غادر السلطان إستانبول على رأس جيشه، مصطحباً معه شيخ الإسْلام العجوز يحيى أفندي البالغ 85 عام مِنْ عمره، بسبب محبته له[2].

وسار الجيش العُثْمَانِيّ متجهاً إلى بغداد الَّذِي يحوي طريقها على 110 منازل لتموين الجيش، فوصل قونيه (17 حزيران)، وزار قبر جلال الدين الرمي، ثُمَّ واصل المسير إلى حلب فوصلها في (22 تموز)، وبهذا يكون قد قطع نصف المسافة إلى بغداد.

وتوفي الصدر الأعظم بايرام باشا الَّذِي التقاه السلطان في بره جك، على رأس جيش عثماني؛ توفي قرب أورفه في (26 آب)، فعين السلطان طبارمحمد باشا صدراً أعظماً وقائداً للجيش، وبعد عشرة أيام قضاها السلطان مراد في ديار بكر، وصل الموصل في 7 تشرين الأول واستقبل فيها سفارة شاه جيهان امبرطور الهند المغولي[3].

وبعد خمسة أشهر وثمانية أيام مِنْ المسير، وصل السلطان إلى بغداد، وشرع ليلة وصوله في 15 تشرين الثَّانِي في حصار المدينة.

1. Ibid, P. 154-156.
2. Turan,Osman,Savevi Osmanli Ve Turkmenlerin Rulu,Ankara, 1976, P.311.
3. Unat.F.R.,Osmanli Sefirleri Ve Sefaref Namekri,Ankara, 1987 , P.25-28.

وكانت الحامية الإيرانية في المدينة مؤلفة مِنْ (40.000 جندي) بقيادة بكتاش خان تركمان، وعلى الرغم من أن السلطان أوراد على رأس (12.000) مِنْ السيباهية إلى منطقة شهربان داخل الأراضي الإيرانية، إلا إن الشاه الصفوي الَّذِي كَانَ مرابطاً في مصر شهرين ويتابع الحصار العُثْمَانِيّ عن كثب، تجنَّب المواجهة المباشرة مَعَ السلطان ويبدو أنه كَانَ يأمل فشل الحصار العُثْمَانِيّ أمام قلعته الحصينة الَّتِي تحوي مئات المدافع في أبراجها الاثنا عشر[1].

لكن على العكس مِنْ ذلك، شدَّد السلطان مراد الحصار على المدينة بعد وصول المدافع الثقيلة عن طريق نهر دجلة[2].

وأخذ السلطان وشيخ الإِسْلام يشجعان المحاربين، ويقومان بزيارتهم يوما بيوم، ويقدمان لكل جندي 50 أقجة يوميا. وبعد حصار دام 39 يوما، وقتال شرس بَيْنَ الجانبين، استشهد فيه الصدر الأعظم طبار محمود باشا (رابع صدر أعظم يسقط شهيداً في الجيش العُثْمَانِيّ . وكذلك والده استشهد على يد الإيرانيين).

وسقطت بغداد في 24 كانون الأول وكانت خسائر الصفويين 10.000 قتيل، فيما استشهد مِنْ الْعُثْمَانِيِّينَ 5000 جندي وجرح 10000 آخرين[3].

ويوصف تحريرُ بغداد بأنه الأطول والأكبر والأدمى في الحروب الإيرانية العُثْمَانِيّة، قدم فيها الطرفان خلال 15 عام بين (1049-1054هـ/ 1639-1644م)، خسائر كبيرة سواء مِنْ الجنود أو مِنْ الرتب العالية، وفي مقدمتهم الصدور العظام والوزراء وأمير أمراء وأمير لواء

---

1. Uzuncarsili,Osmanli Tarihih, Vol. 3/P. 315-316.
2. Naima Tarih, Vol. 3/P. 390.
3. Hammer,Osmanli Devlefinin, Vol. 9/P. 166.

والأيبك ورئيس الكتاب (وزير الخارجيِّة) اسماعيل أفندي الَّذِي استشهد مَعَ الصدر الأعظم طبار باشا[1].

ويروى أن أحد الجنود الشباب قد فقد والده وعمه واثنان مِنْ أخوته وعدد مِنْ أقربائه، فأكرمه السلطان مراد تقديراً لهم. كما يروى أن أكثر المشاهد وحشية في هَذِهِ الحرب، أن 20.000 جندي صفوي قد رفضوا الإِسْلام؛ فقتلوا جميعاً بواسطة المدفعية، فيما قطع رأس الثلاثمائة المتبقين منهم بالسيف، إضافة إلى عدد مِنْ قادتهم العسكريين الَّذِينَ سيقوا إلى إستانبول.

كما سجن وقتل حوالي 1400 شيعي، فيما أُرسل الباقون إلى أماكن متفرقة في العراق، وأصدر السلطان فراماناً بعدم سكن الشيعة مدينة بغداد، وذلك لأن الشيعة قاموا بتفجير مخازن البارود، مما سبَّب في مقتل أكثر مِنْ 800 جندي عثماني، وقد كدست شوارع بغداد بجثث القتلى مِنْ الطرفين، وأُلقي بهم في نهر دجلة، لعدم إمكانية دفنهم، ونظراً لظروف الشتاء لم تحدث أمراض في المدينة جراء ذلك[2].

كما جيء بالآلاف مِنْ أتراك الأناضول، ووطنوا بغداد وضواحيها وخانقين وبعقوبة ومندلي، ولا يزال الأتراك الموجودين في بغداد والمدن العراقية هم مِنْ نسل هؤلاء المستوطنين الأوائل.

---

1. المحامي، فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ص 284- 285.
أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج1/ص475-481.

2. Turkgeloli,kotuk Oglu,Turk-Iran Iliskileri,P.255-266.

وقبل عودة السلطان مِنْ بغداد قام ببعض الأعمال، واتخذ بعض الاجراءات مِنْهَا:

- زار قبر الإمام الأعظم أبي حنيفة، ثُمَّ أمر بإعادة بناء المقام ووضعت فبه حاجيات ثمينة جداً، وكان السلطان قد عدل عن زيارة هذا المقام أثناء الذهاب قائلاً: "لَيْسَ مِنْ اللياقة الصعود إلى حضرة المقام". ويبدو أنّ السلطان قد رأى أنه مِنْ العار، القيام بذلك قبل تحرير بغداد[1].

- عين كوجك حسين باشا أمير أمراء لبغداد على رأس حامية 12000 جندي منهم 4000 مِنْ السيباهية والباقي مِنْ الإنكشاريّة، ودعمها بوحدات جديدة كذلك[2].
- قام بإصلاح القلعة وأسوارها، وجدَّد المدافع الموجودة فيها بحيث لا يمكن للإيرانيين اقتحامها بعد ذلك.
- أبقى الصدر الأعظم قائد الجيش العُثْمَانِيّ قره مصطفى باشا في بغداد لإجراء الصلح مَعَ إيران[3].

وفي هَذِهِ الأثناء وبالتحديد في 13 رمضان /18 كانون الثَّانِي 1639م، كانوا قد ضاقوا ذرعا بإجراءات السلطان القاسية وفي مقدمتهم العلماء والعسكر، والعاطلين عن العمل، إلا أنهم أقاموا الأفراح بهذا النصر حتى أيام العيد، ترويحاً عن أنفسهم[4].

---

1. Baysun,"Murad IVI, P.690.
2. Pecevi,Tarihi,P.166.
3. Erim,Osmanli Imparat Eurlugu P.181-192.
4. Ibid, P. 194-195.

عودة السلطان إلى إستانبول، بَيْنَ (9رمضان1048هـ – 2صفر1049هـ/ 17 كانون الثَّانِي –12 حزيران 1639م):

بعد شهرين مِنْ بقاء السلطان في بغداد، غادرها في 17 كانون الثَّانِي، فوصل الموصل بعد 11 يوم، أراد السلطان أن يقضي الشتاء في ديار بكر استعداداً لحملة جديدة على أصفهان، إلا إن المرض جعله يعدل عن ذلك؛ إذ بقي طريح الفراش في ديار بكر حوالي 70 يوما، وخلال هَذِهِ المدة وعلى الرغم من مرضه، قام ببعض الإجراءات، أهمها[1]:

- بقي يرسل قوات الصاعقة العُثْمَانِيّة Akinciإلى الأراضي الإيرانية.
- أملى شروط الصلح على إيران بعد أن تحرك الصدر الأعظم نَحْوَ الأراضي الإيرانية في 23 اذار، فاضطر الشاه الصفوي إلى طلب الصلح مِنْ الباشا المذكور أثناء وجوده في قزلرباط Kizlarbat، فضغط الصدر الأعظم على رسول الشاه قائلا:" إذا لم يتم الصلح فوراً فإن لدي تعليمات بدخول أصفهان، وتم توقيع معاهدة شيرين (غرب إيران) بَيْنَ الطرفين في (11 ذو القعدة1048هـ/ 17 آذار 1639م)، أي قبل وصول السلطان انقرة بثلاثة أيام[2].

وبعد أن خفَّ المرضُ على السلطان جزئياً، غادر ديار بكر، فوصل أنقرة بعد 34 يوم في (14 ذو القعدة1048هـ/ 20 أذار 1639م)، فاستضافه شيخ الإِسْلام يحيى أفندي الَّذِي يرافقه، في دار والده داخل كروم واسعة في انقره، وأكرمه بأكلة "أورمان كباب"، وهي أكلةٌ تركية

---

1. Naima Tarihi, Vol.1/p. 41,4195.
2. Nuripas,Nerayic Ulvukuat, Vol. 3/p. 11-12.

مشهورة، وقد افتخر الطبَّاخُ الَّذِي وضعها للسلطان بهذه الحادثة حتى وفاته (1106هـ/ 1694م)[1].

وقد وصل السلطان إستانبول يوم (2صفر1049هـ/ 12 حزيران 1639م)، واستغرقت الحملة على بغداد سنة وشهر وأربعة أيام، وفور وصوله قام بآخر إجراءاته، وهي[2]:

- سحب 58 قطعة بحرية تسمى قادرغه (قوارب صغيرة مِنْ ميناء أزميت إلى ميناء إستانبول.
- كما أُعلنت الأفراح في كافة ولايات الإِمْبِرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيّة لمدة أسبوع، فرحا بالانتصار وعودة السلطان مِنْ بغداد.
- أنشأ كشك روان، تخليدا لذكرى حملة روان.

ويمكن تقييمُ معاهدة شيرين بَيْنَ الْعُثْمَانِيِّينَ والإيرانيينَ بما يلي:

- إنهاء حالة حرب استمرت 15 عشر عاماً وأربعة أشهر وسبعة أيام.
- إبقاء الوضع على ما هو عليه مِنْ الحدود التُّرْكِيَّة الإيرانيّةِ الحاليةِ.
- حدود تركيا العراقيّة– أرمينيا السوفياتيّة[3].

---

1. Ibid, p 112-1135.
2. Ibid, p. 196.
3. Erim,Osmanli Imparaatorlugu, P.183-189.

Ibid, p.190.

الخاتمة

نستخلصُ مِنْ هَذِهِ الدراسة مجموعة نتائج أهمها:

1. أنَّ قوة الدولة العُثْمَانِيّة مُنْذُ نشأتها حتى نهاية السلطان سليمان القانوني، كانت بسبب إخلاص السَّلَاطِين لعقيدتهم وأمتهم ودولتهم، فكانوا أهل علم وخبرة في الإدارة والحرب.
2. أن أحد أهم أسباب الضعف بعد نهاية السلطان سليمان القانوني (يعني في نهايات القرن السادس عشر والسابع عشر)، كَانَ وهنُ السَّلَاطِين وتقاعُسهم عن واجباتهم الإدارية والعسكرية، وتسليمها إلى رجال الصف الثَّانِي مِنْ الصدور العظام والوزراء وقادة الإنكشارية الَّذِينَ سعوا إلى مصالحهم الخاصة بعد توقف الفتوحات.
3. أن بعض الإجراءات الخاطئة الَّتِي اتخذها بعضُ سلاطين عصر القوة؛ كالفاتح، مثل: السماح للإنكشارية بخوض الحروب بدون خروج الخليفة على رأسهم، وكذلك إتاحة الفرصة للوزراء بتبادل شؤون الدولة، ومن بعده ظهور قانون قتل الأخوة في ظل الدسائس الَّتِي كانت تحاك آنذاك، ونظام القفص الَّذِي يفرض الإقامة الجبرية على ولي العهد داخل القصر بحيث يبقون تَحْتَ المراقبة، وهم الَّذِينَ ممن يُخاف منهم الانقلاب على السلطان؛ قد جعل السَّلَاطِين اللاحقين فاقدي الخبرة والعزيمة، أو لم يتبقَ منهم أحد مِنْ أهل الخبرة والعلم.
4. أن تدخل الحريم والعبيد داخل القصور في شؤون الدولة يؤدي بها إلى الانهيار؛ لأن كلاهما كانا مِنْ المهاجرين، ولَيْسُوا الأتراكَ الأصليينَ؛ مما أفقد الكثير منهم الولاء والسلطان.

5. كَانَ لتوقف الفتوحات أثرٌ سلبيٌّ كبير على أنظمة الدولة العسكرية؛ كنظام التِّيمار والإنكشاريّة، مما انعكس على ضعف القوة المالية في الدولة، فظهرت تمردات الإنكشاريّة ضد السَّلَاطِين، وأدت إلى مقتل بعضهم كعثمان الثَّانِي ومن بعده سليم الثالث.
6. تراخي بعضُ السَّلَاطِين عن محاسبة الفاسدين في الدولة مِنْ كبار الموظفين؛ قد فسح المجال لفساد أكبر، كَانَ أن يؤدي إلى زوال الدولة مبكرا مَعَ نهاية عصر السلطان سليمان القانوني، لذا نرى أن محاسبة السلطان مراد الرَّابِع لكبار موظفيه وأهله وفي مقدمتهم والدته كوسم الَّتِي نفاها مِنْ القصر، وتطهير الفاسدين مِنْ رجال الدين المتآمرين مَعَ الإنكشاريّة والوزراء؛ مما أعاد للدولة هيبتها مرة أخرى.
7. وأخيرا، أن حرب الأعداء، وتحرير الأراضي المحتلة لا يحتاج إلاَ إلى سلطان، صاحب إرادة، وتصميم، وإيمان بما يفعله، وهذا ما فعله السلطان مراد الرَّابِع رغم صغر سنه الَّذِي لم يتجاوز السابعة والعشرين عند وفاته، فاستطاع أن يُحرِّر بغداد والعراق مِنْ أيدي الفرس، وإعادة بغداد إلى حظيرة الدولة؛ فعلى الرغم من أن الغرب الأوروبي قد وصفه بأنه أكبرُ سلطان مستبدَ في تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة، ولكنً هذا الاستبداد لم يكن سوى محاسبة الفاسدين ومعاقبتهم؛ لإعادة وحدة الأمة العَرَبِيَّة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العَرَبِيَّة والمعربة:

- إبن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي، **بائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، 1960م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، **التاريخ الكبير**، رقم الحديث1760.
- المحامي، فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العُثْمَانِيّة**، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1988م.
- المحامي، فريد بيك، **تاريخ الدولة العلية العُثْمَانِيّة**، دار الجيل، بيروت، د. ط، 1977م.

ثانياً: المراجع العَرَبِيَّة والمعربة

- إحسان أوغلو، أكمل الدين (إشراف وتقديم)، **الدولة العُثْمَانِيّة، تاريخ وحضارة**،(مجلدان)، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسْلَامِيّة، إستانبول، د.ط، 1999م.
- ألتر، عزيز سامح، **الأتراك العُثْمَانِيّونَ في أفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العَرَبِيَّة، بيروت، ط1، 1989م.
- أنالجيك، خليل، **تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة مِنْ النشوء إلى الإنحدار**، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسْلَامِيّ، بيروت، 2002م.
- أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة**، (مجلدان)، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، 1988م.
- بيلديسينو، ايرين،" **البدايات عثمان وارخان**" **تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة**، إشراف: روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، 1993م.

- حسنين، إبراهيم محمد، **سلاطين الدولة العُثْمَانيّة**، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، د.ط، 2014م.
- رافق، عبد الكريم، **العرب والأتراك(1516-1916)**، مكتبة أطلس، دمشق، ط1، 1974م.

-------------، **المشرق العربي في العهد العُثْمَانِيّ** ، مطبعة رياض، دمشق، د.ط، 1988م.

- ساحلي أوغلو، خليل، **رسالة عين علي في التِّيمار**، مِنْ **تاريخ الأقطار العَرَبِيَّة مِنْ العهد العُثْمَانِيّ** ، إستانبول،2000م.

-------------، **قانون نامه آل عثمان**، مج 3و 4، مجلة الدراسات، الجامعة الأردنية عمّان، 1986م.

- الشناوي، عبد العزيز، **الدولة العُثْمَانِيّة: دولة إسلامية مفترى عليها**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 2010م.
- عبد الرحيم، عبد الرحمن، **معالم التاريخ الأوروبي الحديث**، جامعة بيروت العَرَبِيَّة، بيروت، د.ط، 1982م.
- العريض، وليد، **تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة، التاريخ السياسي والإداري ودراسات تاريخية**، دار الفكر، عمًان، ط1، 2012م.
- غرايبة، عبدالكريم، **العرب والأتراك**، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، د.ط، 1961م.
- كلو، اندري، **سليمان القانوني**، تعريب البشير بن سلامة، دار الجيل، بيروت، ط1،1991م.
- كوبرولو، محمد فؤاد، **قيام الدولة العُثْمَانِيّة**، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، بيروت،1991م.

- لوي باكي، جرامون، **أوج الإمْبِرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيّة، (1512-1606)**، تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة، إشراف روبيرمانتران، دار الفكر، القاهرة، 1992م.
- مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العُثْمَانِيّة،** جزءان، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1989 م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

- الرويلي، ليلى، **السلطان محمود الثَّانِي وإصلاحاته (1808-1839)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، قسم التاريخ 2012-2015م.
- مصرليان، هاصميك، **الأحوال السياسية في الدولة العُثْمَانِيّة(1402 -1421)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، قسم التاريخ2015م.

رابعاً: البحوث والمجلات

- العريض، وليد، **الكتابة التاريخية عند الأتراك الْعُثْمَانِيِّينَ**، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس.

خامسا: الخرائط

- الميداني، محمود عصام، **الأطلس التاريخي للعالم الإسْلَامِيّ**، دار دمشق للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1995م، ص44.
- ويكبيديا، موقع إلكتروني.
- Helmut M. Mueller Schlaglichter Der Deutsche Gesehidute Buendes Zeutraler Fuer Politisdu Bildung Bonn 2002.

سادساً: المصادر العُثْمَانِيّة والأجنبية

- Freidun Bey, Munsaat Eslatin Istanbul, 1958.
- Ibn kemal pasa Tevarin Al Osman , Deftern V.II, Nsr.A.Ulgur,Ankara,1957.
- Munaccim Pasa, Tarih, vol.3, Istanbul, 1958.
- Nuri Pasa, M, Netayic Unlvukuaat, vol (I-II) Ankara, 1988.

سابعاً: المراجع التُّرْكِيَّة والأجنبية

- Abrege Desviesdes Empereurs Tures Amstrodam,1665.
- Ak gundu z , Islam Hulcukunda Ve Osmanli Tabi katinda Vaalcif Meussesesi, Ankara, 1983.
- Akadag , Turk Halkin.Ve Devlet Duzenlik Kavgasi,Istanbul, 1978.
- Akcura.Y,Osmanli Devletinin Dgilma Devri, Ankara, 1986.
- Aktepe,M,"Mustafa I" IA ,Vol. 8.
- Alamdar ,A,kara yazici VeKalendar Oglu Isyanlari, TTD, Vol.3-7.
- Allen, Problems of Turkish Powrin The Seventeenth entury, London,1963.
- Altindag , Selim I ,IA , Vol.10.

  ----------, Osman I " IA , Vol.9 .
- Augest Cour, Osmanli Devleti Ve Fas Siyasi Eliskileri, Istanlul,1958.
- Aykut,N"Iv Muradsin Levan Seferi, TD,xxxiv,1989.

- Bacque,Cerammont, J.L."XVuyuzyilinik yarasinda Osmanlilarre Savferviler ,Istanbul 1991.
- Barkan,O.L.Y " Timar" IA, Vol.12.
- Baysun, " Kosem Sultan" ID, Vol.6.

----------, Umurad IV, ID, Vol.8.

----------,M.C " Ahmed I ",IA, Vol. 1.

----------,Murad IV, TA, Vol. 8.

- Bilgic,A, Kanince Savasi,Istanbul,1985.
- BOA , Muhimme Defteri, IxxxvIIIp.
- Danismand, Osmanli Tarihi, Istanbul,1987.
- Ebenhard " Kayilar Kabilesi Kakkinda Sinolojik Mulahazalar" Bellten, 1957.
- Erin , Devletler arasi Hukuve Siyasi Tarin Metinleri, Ankara,1953.

------,Osmanli Imparatct Orlugu Antlasmalaria,1983.

-----, Devletler, Arasi, Muahadat Umumiye Macmua ,(I-V) Istanbul, 1294-1298.

- Frye, R.N " Selcuklarin Evvel Ortakta Turklar IA, Vol.12.
- Gokbilgin ,M " Suleyman I , IA, Vol.11.

-------,Mehmed III ,IA , Vol.7.

- Gokkaya, Sultan Osman Sehadeti , Atsiz , Armagani, Istanbul,1976.

- Halacoglu. XIV–XvII , Yuzyillarda Devlet Teskilati Ve Sosyal Yapi,Ankara,1991.
- Hammer , Devleti Aliyye–i Osmaniye Tarihi , Vol.7. Istanbul , 1337.

  ––––––––––, Osmanli Devletinin, Vol. 9.
- Hayrullah EFendi , Tarih , Istanbul , 1954.
- IMbert,C.,The ottoman Impire 1306 –1481,Istanbul, 1990.
- Inalcik ,H." Military and fiscal Trans Formation In The ottoman Empire 1600–1700", Istanbul 1980.

  –––––––––, Mehmed II ,IA, Vol.7.
- Kafalli,"Timar"IA, Vol.12.
- Katib Celebi, Fezleke ,I – II, Istanbul, 1972.
- Krem,B,Raw Daul Abrat, Istanbul 1974.
- Kutuk oglu, Belcir, Osmanli –Iran, Siyasi Munasabetleri (1578–1612, Istanbul 1993.

  –––––––––, Murad III ,IA, Vol.8.
- Levend , Agasirri, Turk Edebiyati Tarihi ,Criris I.Cilt TTK ,Ankara, 1984.
- Loraga,the Classic History of Ottoman,Ankara, 1943.
- Madam De Gomez, Osmanli Tarihi,(Terc.M.Ata) Astanbul,1954.
- Marriot, J.A.R. The Eastern Question, London,1965.

- Muahada Umumiye Mucmuasi Vol. 2.
- Naima, Naima Tarihi, I–IV, Istanbul,1976.
- Orhonlu cengiz," Mustafa II" ID, Vol.8.

  ----------, Mustafa II " IA.

  ----------,"Mustafa II " IA, Vol.8.
- Ozcan, Abdul Kadir Fatihin Teskilat Kanunnamesi, Ve, Nizam Alem Meselesi, Istanbul,1982.
- .Ozkaya, y, Osmanli, Imparatoru lugund Dagli Isyalari, Ankara,1983
- Pakkundnz ,Islam Hukukunla ve Osmanli Tatbikatinda Vakifmussessesi Ankara, 1983.
- Pecevi, Tarih VOL.II, Istanbul.
- Pirnne, Sultan Mustafa II, Saltanati (Terc Akday) TTD, Vol.22.
- Pour Ali, dafar, Nadirsah devrinde, Osmanli, Iran, Munasebetleri, Istanbul, 1977.
- Rasid, Traih, Istanbul,1948.
- Refik, A, kadinlar Saltanati,1981.

  ------, Kadinlar Saltanati, Istanbul,1934.
- Rifaat Osman, Adirne Saray, Ankara,1989.
- Roemer, "The safevid Period Abbas IP" the Cambridge History of Iran, Cambridge, 1986.

- Saadeddin, M,Tacuttawarih, Istanbul,1943.
- Sahillioglu, Iv.muratin Bagdat Menzilnamesi TD 11/ 1967.
- Sanizade,Tarih,(Haz.M.Ata,) Istanbul,1985.
- Schmidt, I.1596 Military History and Problem Sources Vienne, 1985.
- Sertoglu, Madht, Osmanli Tarih lugati, Istanbul,1986.
- Solak zade, Tarih, Istanbul, 1964.
- Tamiri, A, Osmanli Imparator lugunun kurulus Doneminde vezir A zamlik, Ankara, 1974.
- Tansel, Sultan Beyezidin Siyaseti Hangati, Istanbul, 1966.
- Turan, "Selim II "IA, Vol.10.

  ----------, Savervi Osmanli, ve Turkmenlerin Rulu,Ankara,1976.
- Turkgeldi, Kotu Icoglu, Turk – Iran, Iliskileri.
- Unat.f.R, Osmanli Sefirleri ve Sefaret Namelri ,Ankara,1987.
- Uzuncarsili, "Beyazid II " ,IA, Vol.2.

  ----------, Fezleke , Ankara,1987.

  ----------, I " Devsirme " IA, Vol.3.

  ----------, Kapikulu Ocaklari. Vol.2.Ankara,1988.

  ----------, Osmanli Tarihi, Vol.3,Ankara,1988..

  ----------, " Murad I " IA , Vol.8, Istanbul,1988.

−−−−−−−−−−, I.Hakki Osmanli Devleti Teskilatina Madual, TTK, Ankara,1988.

- Yanskerim " IV Murad Devrinde Osmanli Savevi Munasebetleri , Istanbul 1977.

Abstract

AL-Rahbi, Habeeb Bin Hussein: Political Affairs of Ottoman State (1012- 1050 AH/1603-1640 A.D). supervisor Dr: Walid AL- Arid, Master Thesis, Yarmouk University, 2015-2016

The study entitled (the political Conditions in the Ottoman Empire during the period from 1012- 1050 Hijri, corresponding to 1603- 1640) aimed to highlight the political aspect of the Ottoman Empire including the nature of relationships, conditions experienced by the empire regarding isolation and appointment, army and wars leadership, the alphabets of the Empire, and abilities of its successive sultans (at least during the period being focused on in this study). In addition to internal revolutions, defeats, and governance, then the state of advancement, defeating enemies, liberating land. The study included one of the most important periods of Ottoman history, which is considered the beginning of decline and weakness after the death of Sultan Suleiman Al- Qanooni (926- 974 Hijri, corresponding to 1520- 1566).

The descriptive analytical method was used which includes collecting information, and then analyzing and comparing it away from repetition and redundancy. The study used Ottoman and Turkish sources, in addition to different Arab and English previous researches. The study includes an introduction and four chapters.

The first chapter is an introduction to the study, and it is entitled (the political situation during the Ottoman Empire since its creation until the beginning of the seventeenth century 620- 1012 Hijri, corresponding to 1218- 1603). The chapter included several important topics prevailed

in the period of strength (since the Conquest of Constantinople until the end of the sixteenth century), when the empire arrived to its largest geographical breadth, the climax of military and economic prosperity. Then in the era of swing between strength and weakness from the beginning of f Sultan Sleim II era to the end of Sultan Mohammad III era (974- 1012 Hijri, corresponding to 1566- 1603), and what was marred then including conspiracies inside the Sultan's palace, internal revolutions and reforms.

The second chapter addresses the Empire's external policies in the era of Sultan Ahmad I (1012- 1026 hijri, corresponding to 1603- 1617) and its reflections on the internal conditions, including his policy in dealing with women (Hareem), with an assessment of the internal situation during his reign. In addition to the external situation such as wars, peaceful conventions, victories and defeats.

The third chapter addresses an evaluative image of the political, military, social, and scientific thought during eras of sultans Mustafa I and Othman II (1026- 1033 Hijri corresponding to 1617- 1623) through highlighting the personality of Sultan Mustafa I and his first era and his isolation, then Sultan's Othman II reign and his efforts to reform the Janissaries. The chapter also highlighted the political situations that led to his death. Then the conditions that led to Sultan Mustafa's return to power.

The fourth chapter addresses the political situation during the era of Sultan Murad IV (1033- 1050 Hijri, corresponding to 1623-1640), including his physical, cultural, and intellectual personality. In addition to investigating the two cases of contradiction between his first era (1033- 1042 Hijri, corresponding to 1623-1640), and his second era (1042- 1050

Hijri, corresponding to 1632- 1640) including internal and external policies in the two eras.

What we can is that is study addressed all Sultans reigned during the study being focused on in the study (1012- 1050 Hijri, corresponding to 1603- 1640), which characterized by a huge struggle for power inside the Sultan's palace including women (wives of sultans), ministers, and Aghas that led to the killing of Sultan Othman II (1032 Hijri, corresponding to 1622) and the isolation of Sultan Mustafa I.

When Sultan Murad IV took over rule, he could return Baghdad the Persians who took advantage of the period of disturbances and Occupied Baghdad in (1034 Hijri, corresponding to 1624), and after waging a number of wars against Iran (Persia), the Sultan could liberate Baghdad and eliminate causes of weakness of the Janissaries and the Ottoman Society. Although, he died in an early age (27 years old), historians considers him the most important Ottoman Sultan that followed Sultan Suleiman Al-Qanooni.

The study concluded that strong states require merit, determination, knowledge, and experienced leaders so it can maintain its strength, and that prevailed in the Ottoman Empire. The researcher hope that this research can make a positive contribution to the Arab related literature, researchers, and learners regarding the Ottoman Empire.

Habeeb ALRahbi